الحسين بن علي

الملك والثائر

خطاب جديد لفكر النهضة العربية

الأستاذ الدكتور يوسف حسن غوانمة



الملك والثائر

خطاب جديد لفكر النهضة العربية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

رقم التصنيف : ٩٥٦,٠٨٥

المؤلف ومن هو في حكمه : يوسف غوانمــــــه

عنوان المصنف : الحسين بن علي الملك والثائر خطاب جديد لفكر النهضة العربيــــــة

رؤوس الموضوعات : ١ - الثورة العربية الكبرى

٢ - الحسين بن علي - تراجـم

رقم الايـداع : (١٩٩٤/١٢/١٣١٣)

الملاحظات : مكان النشر : عمـــــان

الناشر : دار الفكـــــر

★ - تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

اهداءات ١٩٩٨

المعهد الدبلوماسي الأردني

الأردن

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م





دار الفكــــر
للطباعة والنشر والتوزيع

سوق البتراء (الحجيري) هاتف ٦٢١٩٣٨ - فاكس ٦٥٤٧٦١ ص.ب ١٨٣٥٢٠ عمّان ١١١١٨ الأردن
Tel.: 621938 - Fax.: 654761 - P.O.Box: Amman 11118 Jordan




الحسين بن علي

الملك والثائر

خطاب جديد لفكر النهضة العربية



الاستاذ الدكتور يوسف حسن غوانمة
استاذ التاريخ وعميد كلية الآداب
جامعة اليرموك

دار الفكر للنشر والتوزيع



الإهداء

إلى صاحب الجلالة الملك الهاشمي الحسين بن طلال، صانع السلام، وحامل لواء النهضة العربية المعاصرة بخطاب جديد، وباني الأردن المثل والنموذج، بمسيرته الديمقراطية، ونظامه المؤسسي البرلماني.

إلى صاحب القلب الكبير، حامي القدس الشريف، ورسول المحبة والسلام والتقدم لشعبه، وشعوب هذه المنطقة.

أهدي هذا الكتاب

المؤلف



الشريف الهاشمي الملك الحسين بن علي

قائد النهضة العربية



الشريف الهاشمي الملك الحسين بن طلال

قائد النهضة العربية المعاصرة رسول المحبة السلام



سمو الأمير الهاشمي الحسن بن طلال ولي العهد الأمين

رمز الوفاء والانتماء والعطاء

مقدمة

أحببت القادة العرب المخلصين، واقتدى طلابي بذلك لأنهم القدوة الطيبة لنا ولأجيال سبقونا، خرج بعضهم في ظروف حالكة مرت بها أمتنا العربية، فقادوها الى النصر المبين، والى الكرامة والعزة الوطنية والقومية. أذكر منهم الشريف الهاشمي الحسين بن علي قائد النهضة العربية، ومفجر ثورتها ضد الظلم والاستبداد والفقر والجهل والتأخر والانحطاط، والخلاص من حكم جائر ظالم جامد مستبد، رزحت تحت جبروته أمتنا العربية قرونا عديدة، واني اذ اقدم هذه الدراسة عن حياة هذا الملك الثائر لارجو ان افيه حقه. فهذا البطل الفذ قد فجر ثورة أمة، كانت في ظروف قهر، وذل وهوان، مع قلة في الموارد الاقتصادية والعسكرية ومع ذلك قادها وفجر طاقاتها، وحرك ضميرها، وأدخلها في أتون معارك ضارية انتصرت بها على قلة ماليها. لايمانها أنها تخوض معركة الشرف والكرامة والعزة والانعتاق من نير العبودية، والدخول الى العصر الحديث بكل عطائه الحضاري، وتقدمه الصناعي

والعلمي والتكنولوجي. فكانت الامة على مستوى
الحدث الكبير، فالتّفت حوله جموع المخلصين
الصادقين الاوفياء، وضحوا بارواحهم واموالهم في
سبيل المبادىء النبيلة التي نادى بها الحسين بن علي
واحرار العرب الاوفياء والمتمثلة بالوحدة والحرية
والاستقلال والحياة الفضلى.

كانت الثورة العربية ثورة الامة كلها، وكانت
نتيجة طبيعية للتحدي الذي واجهته من القومية
الطورانية، ومحاولة طمس الشخصية العربية،
وتهميش دور الامة العربية الحضاري والانساني.
لقد ادخلت الثورة العربية الامة العربية الى العصر
الحديث، بكل معطياته العلمية والتقنية والحضارية،
رغم ما أصابها من تمزق وتفتت على يد الاستعمارين
البريطاني والفرنسي، وزرع الصهيونية في قلبها
لينزف دما، وليحول دون اي وحدة، أو لقاء بين
أقطار هذه الامة ويبعدها عن التنمية والبناء
والتطور والتقدم .

فالثورة العربية ترجمة حقيقية لارادة الامة التي
ارادت من خلالها النهوض والتقدم ودخول العصر
الحديث بقوة وحيوية الا ان ظروف الامة العربية
رغم ما اصابها من تقدم علمي واقتصادي وثقافي

ظلت عاجزة عن تحقيق اهداف النهضة العربية، التي بقيت متقدة في ضمير انساننا العربي، وكان لا بد من خطاب جديد لهذه النهضة. ولما كان الاردن وريث هذه النهضة فقد ترجم هذا الخطاب الجديد عمليا كي يكون القدوة والمثل الذي يحتذى به. فكانت المسيرة الديموقراطية، واحترام حقوق الانسان، والسعي الى الوفاق والاتفاق والعمل على ارساء النظام المؤسسي في الاردن المعاصر.

فالاردن حجمه صغير جغرافيا ولكنه كبير كبير بمبادئه وقيمه، عظيم بقيادته الهاشمية الشجاعة. فالظروف الدولية وتطوراتها جعلت الملك الحسين بن طلال ثائرا كجده الحسين الكبير، فالحسين يقود الآن ثورة سلمية بكل معطياتها الحضارية والانسانية لتكون مثالا للامة العربية لتحرر شعوبها وتنعتق من نظم احادية فردية استبدادية متخلفة. فها هو يرسخ النظام الديمقراطي ومسيرته، ويهتم بالانسان الاردني والعربي لانه حجر الاساس في كل نهوض او تقدم. فالانسان الحر يبني وطنا ومجتمعا حرا قويا، وهذا ما اراده قائد مسيرتنا لهذا الوطن الاردني العزيز. فان نجحنا اصبحنا مثالا طيبا لغيرنا، وقدوة للانسان العربي في جميع امصاره

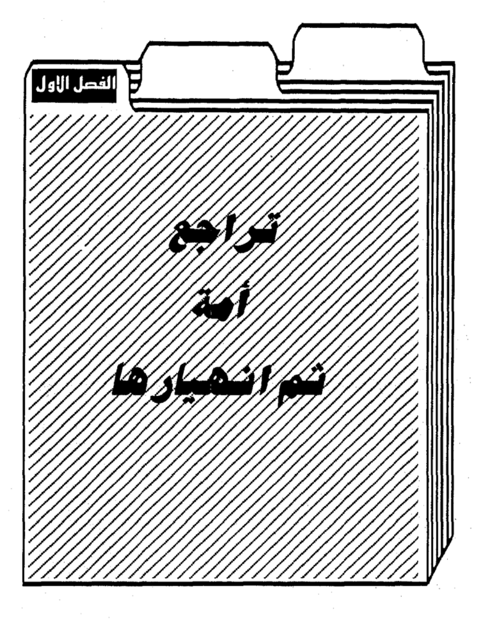
وأقطاره . فعلى الأردنيين ان لا يخيبوا أمل القائد، وبذا يصبح الأردن نقطة الانطلاق للنهضة العربية المعاصرة بخطاب وفهم جديدين آخذين بعين الاعتبار تغير الزمان والمكان.

أمل ان يجد القارئ في هذه الدراسة ما يفيد فسنبقى على العهد دوماء أوفياء لبلدنا ، مخلصين لأمتنا وقيمنا وتقاليدنا ، دعاة سلام ومحبة واخاء.

إربد في ١١ آب ١٩٩٤م

أ.د. يوسف غوانمة


الفصل الاول
الحسين بن علي
الملك والثائر


الفصل الاول
تراجع
أمة
ثم انهيارها

تراجع أمة ثم إنهيارها:

يرى ابن خلدون ان النفوذ العربي في الدولة العربية الاسلامية في المشرق الاسلامي انتهى منذ منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، فتسلم الاتراك السلاجقة السلطة في العراق والشام وتسلمها من بعدهم اولئك الذين ربوا في كنفهم وتحت رعايتهم، كالزنكيين، والأيوبيين، ثم المماليك، ويعلق ابن خلدون على ذلك بقوله "وانقبضت العرب، راجعة الى الحجاز، مسلوبة من الملك كأن لم يكن لهم فيه نصيب".

ولم تأت نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلا والخلافات قد استشرت وتعقدت بين الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة، وكان ميدان صراعهما بلاد الشام التي كان يسيطر عليها السلاجقة الذين كونوا بها ما يسمى بامارات المدن، وكانت هذه الامارات متصارعة متحاربة فيما بينها، ونتيجة لتلك الحروب الدامية في بلاد الشام والنزاعات المدمرة بين السلاجقة والفاطميين حول السلطة، بالاضافة الى الموقف الغامض المثير للشكوك والدهشة الذي وقفته الدولة الفاطمية في مصر والذي كان من اهم العوامل التي ادت الى انتصار الجيوش الفرنجية على العرب والمسلمين واستيلائهم على الساحل الشامي واحتلالهم للمدينة المقدسة عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ، والتصفية الجسدية التي قاموا بها في كل المدن التي احتلوها ففقدنا الآلاف من العلماء والفقهاء ورجال

العلم والفكر والادب.

وهكذا فان الحكم السلجوقي والخلافات المذهبية في العالم الاسلامي كانت سببا في انهيار المقاومة العربية الاسلامية، وانهاك الانسان العربي وتمزيق وتفتيت وحدته الوطنية، حتى بلغ درجة من اليأس والقنوط والفقر والعوز والحاجة أفقدته انسانيته فأصبح يذبح كالشاة، ولم يكن قادرا على مقاومة أية أخطار خارجية.

ولا ننكر ان لبعض القوى التي حكمت وطننا العربي فضلا في مقارعة الأخاطر الفرنجية والاوروبية وتحرير الساحل الشامي من وجودهم، الا ان سياستهم وخصوصا المماليك ثم العثمانيون في اقصاء الانسان العربي عن السلطة والعسكرية كان له دوره في حالة الوهن والخذلان التي اصابت أمتنا ، بالاضافة الى الطواعين والاوبئة والزلازل التي قتلت الملايين ودمرت معظم معالمنا العمرانية. فكل هذه العوامل مجتمعة انهكت انساننا وكانت سببا في هذا التراجع الحضاري بل الانيهار الذي أصاب الأمة من جميع الوجوه، فتفشى الجهل والفقر والمرض ، ولم تكن قادرين على مواكبة التقدم العلمي والتطور الحضاري الذي كان يدور من حولنا.

ومع كل هذه الظروف الصعبة التي أحاطت بامتنا في تلك الحقبة التاريخية الا ان انساننا العربي كان رافضا لتلك الظروف، فقاوم الاحتلال الفرنجي لمدينة القدس والساحل الفلسطيني والشامي وتشكلت فرق المقاومة الشعبية ورفضوا التعاون مع المحتل الاجنبي

لأرضهم ، ثم انخرطوا كمتطوعة في جيوش صلاح الدين الأيوبي حتى تحررت القدس عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ثم الساحل الشامي كله عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م على يد السلطان الاشرف خليل. ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل قاوموا سلطة وتحكم المماليك والعثمانيين. فقد قامت ثورات عديدة في مصر والشام ضد السلطة المملوكية بتأييد شعبي من السكان العرب أصحاب البلاد، وقد مثلت هذه الثورات (ظواهر قومية عربية) مبكرة، وقد عبر المؤرخ أبو المحاسن عن هذا الصراع بين العرب والترك قائلا: (والجنسية علة الضيم). فالعرب لم يكونوا في منأى عن الاحداث والتيارات الفكرية العالمية، كانوا على اتصال بالعالم فكريا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا. وكانت المنطقة العربية في قلب هذا العالم تتفاعل مع أحداثه وافكاره وتياراته المختلفة، تأخذ وتعطي. كان مجتمعنا قبل السيطرة العثمانية مجتمعا مثقفا متعلما تطلع الى حقه في ممارسة الحياة العامة والحياة السياسية الأخرى التي حرمه منها السلاجقة ومن بعدهم المماليك ، خصوصا وان تأثير العلماء والفقهاء قد ضعف ولم يكن لهم تأثيرهم الذي كان في السابق والذين كانت نظرتهم مستمدة من الاسلام (وعالمية الدولة)، لقد ضعف نفوذهم وتلاشى بسقوط (الخلافة العباسية) في بغداد على يد هولاكو عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م.

وهكذا فقد ظهرت البذور الأولى للقومية العربية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي ، تماما في نفس الفترة التي ظهرت فيها

في أوروبا فالمواطنون العرب في مصر والشام أخذوا يفكرون في السلطة والمشاركة في الحياة العامة، لأنهم مؤهلون لذلك. فالمجتمعات العربية بدأت ترنو الى حقها في السيطرة على (وطنها أو بلادها) ، واعتبار هذا الوطن خاصا بها لا يحق لغيرها ممارسة أية سيادة فيه) ، اذا اخذنا بعين الاعتبار ان الدولة المملوكية احتكرت كل المناصب الكبرى في الدولة، وأبعدت كل العناصر العربية الوطنية من تقلد أي منصب عسكري أو اداري في مصر والشام، مما أثار سخط المواطنين، وازدياد الشعور القومي لديهم.

بدأت القوة المملوكية بالانحدار التدريجي منذ القرن الرابع عشر الميلادي، فقد كان للظلم والاستبداد والجور الذي مارسه المماليك ضد المواطنين بالاضافة الى نظام الاقطاع الحربي الجائر والطاعون الذي أصاب البلاد الشامية والمصرية مدة قرن ونصف تقريبا، ثم تحول طرق التجارة الدولية عن البحر الاحمر ومصر وبلاد الشام، أثره الكبير في تدني الديموغرافية السكانية وتراجع ملحوظ في العطاء الحضاري في المشرق العربي. أما في المغرب فقد كان الاسبان يعملون جاهدين لاخراج العرب من الأندلس مستخدمين كل وسائل العنف والتعذيب ضدهم ، ومع نهاية القرن الخامس عشر كان الحكم العربي قد انتهى من الأندلس، أضف الى ذلك أن البرتغاليين تمكنوا من اكتشاف رأس الرجاء الصالح مع نهاية القرن نفسه، فوصلوا الى الهند وسيطروا على تجارة المشرق التي احتكرها العرب لقرون

عديدة. ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا جنوب الجزيرة العربية مبتدئين عصر الاستعمار الحديث ولم يلبث ان تبعهم الهولنديون ثم الفرنسيون والانجليز وصارت اساطيلهم تهدد سواحل عدن والخليج العربي والبحر الاحمر وسواحل الحجاز.

وفي هذه الظروف الحرجة التي كانت تمر بها أمتنا العربية سيطر العثمانيون على الوطن العربي بعد أن هزموا المماليك في معركة مرج دابق عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م. وقد حاول العثمانيون ابعاد الهجمة الاوروبية الاستعمارية عن الجزيرة العربية والبحر الأحمر، الا ان انشغالهم في مستنقع الخلافات اليمنية طيلة السنوات ٩٥٠هـ-٩٩٤هـ/١٥٤٣-١٥٨٥م، ادى الى فقدهم حوالي سبعين ألف جندي ومع ذلك اكدوا سيادتهم على البحر الأحمر والحبشة ومضيق باب المندب.

ولم تكن الدولة العثمانية قادرة على التكيف مع روح العصر الحديث وتطوره، فقد كانت أوروبا تعيش فترة الازدهار الفكري والتقدم الحضاري والعلمي والتي كان من نتائجها الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، فتغيرت أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقلدتها هذه الثورة مركز القيادة للعالم كله. أما الدولة العثمانية والولايات العربية في شرق الوطن العربي ومغربه فقد رزخت تحت حكم جامد مستبد، كان من نتائجه جهل وفقر وتخلف أصاب أمتنا العربية من جميع الوجوه، فبينما كان العالم الغربي

يعيش عصر النهضة والتقدم العلمي والصناعي والازدهار الاقتصادي والحضاري والتطور الاجتماعي، كان وطننا العربي يعيش في ظلام دامس واوضاع مأساوية مؤسفة.

الا ان الاحتكاك والتواصل العربي مع الغرب الأوروبي بدأ منذ القرن السادس عشر بالارساليات التبشيرية وأخذ هذا الاحتكاك مداه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فانتشرت المدارس التبشيرية والمطابع والجمعيات الأدبية والعلمية في مصر والشام والعراق والمغرب العربي وكان للصحافة دور بارز في توعية المواطن العربي سياسيا وفكريا، فايقظت حسهم الوطني والقومي، فأخذوا يتطلعون الى تغيير أوضاعهم والتطلع نحو الأفضل ومعرفة ما يدور حولهم. ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا العلم في الجامعات الأوروبية ليعودوا الى أوطانهم قادة فكر وعلم وتقدم، وبلغ المتعلمون العرب أعدادا كبيرة.

وكان من نتائج اتصال الوطن العربي بأوروبا التعرف على الحركات السياسية وانظمة الحكم الاوروبية، فتجمعت لديهم مفاهيم جديدة كالديمقراطية والحرية، والوطن والوطنية والقومية، وأخذ رواد الفكر ينادون بها ويدعون الى الاصلاح والتقدم، ونبذ الاستبداد والظلم والتعسف، وقد واكب اليقظة العربية القومية والنهضة الفكرية التي اجتاحت الوطن العربي، تأسيس الجمعيات السرية التي تنادي بالاستقلال وتحث العرب على الاتحاد وتنادي بالوحدة الوطنية ونبذ

الخلافات العنصرية والطائفية. بل دعا بعضها الى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية، وطالبوا بأن تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية على ان تكون الحجاز مقرا لخلافة عربية، وفي ظل هذه الظروف التي كانت تعيش فيها الأمة العربية ، ظهرت أسرة ذوي عون امراء مكة المكرمة الذين ينتمون الى محمد بن عون الذي تولى امارة مكة عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م والى هذه الاسرة ينتمي الشريف الهاشمي الحسين بن علي الا أن حكم الهاشميين في مكة يبدأ قبل ذلك بقرون عديدة، فمتى بدأ ذلك؟؟.

الهاشميون في مكة:

تولى الاشراف الهاشميون من بني الحسن امارة مكة منذ اواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وهم ينسبون الى محمد ابن الحسن بن محمد موسى بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون بن عبدالله بن حسن بن الحسن السبط. وكانت امارة مكة آنذاك تحت الحكم العباسي، ولكن الفاطميين نافسوا العباسيين على حكمها منذ سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م.

وقد تمكن محمد بن جعفر ابي هاشم من ضم المدينة المنورة اليه، وذلك بعد ان أخرج بني الحسين منها، وبذلك جمع بين الحرمين واصبحت الامارة تضم مكة والمدينة والمناطق المجاورة اليهما. وبعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية على يد صلاح الدين

الايوبي، أصبحت امارة مكة تخضع للايوبيين في مصر والشام وان كانت في احيان تخضع لأيوبية اليمن ولكن في فترات قصيرة.

وكان امراء مكة حتى سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م من بني فليتة ، ولكن الامارة بعد ذلك انتقلت الى بني قتادة الذين ينسبون الى قتادة بن أدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن موسى بن عيسى بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون بن عبدالله بن حسن بن الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب. وقد تمكن الأمير قتادة من التوسع فضم الينبع وبعض أعمال المدينة المنورة وأجزاء من بلاد نجد واطراف اليمن، فأصبحت امارة مكة تضم أجزاء كبيرة من الحجاز ونجد واليمن.

ثم أصبحت امارة مكة تحت الحكم المملوكي بعد سقوط الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وقد أولى السلاطين المماليك اهتماما خاصا بامارة مكة والمقدسات الاسلامية في مكة والمدينة، ونال حكامها من الاشراف الهاشميين كل رعاية وتقدير. وفي سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م تولى امارة مكة الشريف بركات بن محمد وذلك في عهد السلطان قانصوه الغوري آخر السلاطين المماليك.

انتصر العثمانيون على المماليك في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وأصبح السلطان سليم الأول سيد الموقف في مصر وبلاد الشام. وبعد أن استقرت الأحوال في مصر، أرسل السلطان سليم مرسوما الى الشريف بركات يخبره بفتحه مصر، ويطلب منه ارسال ابنه محمد ابو نمي الى القاهرة، ليعبر له عن الطاعة. فأرسل

الشريف بركات ابنه الى القاهرة معلنا ولاءه للسلطان العثماني فأقره السلطان على امارة مكة، وصارت امارة مكة تتمتع باستقلال داخلي مع الاعتراف بالسيادة للسلطان العثماني. وقد اهتم السلاطين العثمانيون بهذه الامارة وبالحرمين الشريفين في مكة والمدينة، وتوالى على حكم امارة مكة في العصر العثماني عدد من الأمراء، حتى سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م، ففي هذه السنة عين محمد على باشا صاحب مصر على امارة مكة الشريف محمد بن عون، وبذلك انتقلت شرافة مكة وامرتها من ذوي زيد الى ذوي عون.

الحسين بن علي:

ينتمي الشريف حسين الى ذوي عون، فجدهم محمد بن عون كان أقوى الأشراف الذين تقلدوا شرافة مكة، فقد عمل على أن تكون السلطة الفعلية في الحجاز بيده، فلم يكن للوالي العثماني بجدة سوى السلطة الأسمية، وعمل على الاستقلال في امارته، كما عمل على تمتين علاقاته مع القبائل العربية الحجازية فأصبحت عونا له، ثم سعى الى بسط نفوذه على نجد والقصيم في وسط الجزيرة العربية بعد ان اضطر الوهابيون اعلان تبعيتهم للدولة العثمانية. ثم قام بين سنتي ١٨٤٦هـ-١٨٤٧م بتوطيد سلطاته على عسير واليمن، فأعلن الثائرون هناك الطاعة للدولة العثمانية، بالاضافة الى قيامه بمد يد المساعدة الى آل الرشيد في حائل لتقف امارتهم في وجه التوسع

الوهابي في شمال الجزيرة العربية. وبذلك أصبح محمد بن عون سيد الموقف في الجزيرة العربية في مواجهة القوى المحلية هناك، وبدأت قوة الاشراف الهاشميين في الحجاز في تزايد مستمر، فأصبح لهم نفوذهم وقوتهم التي يحسب حسابها.

ازاء ذلك سعت الدولة العثمانية الى بسط سيطرتها وهيبتها على الحجاز فقد ساءها ان يستقل الشريف محمد بن عون بالسلطة دونها، وان يكون للأشراف الهاشميين حضور لا في الحجاز فحسب، بل في معظم انحاء الجزيرة العربية، مقرونا بتأييد من القبائل العربية هناك. فالهيمنة على الحجاز مطلب عثماني له ما يبرره، ففيها الاماكن المقدسة، والسلطان العثماني هو خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين، ومن هنا أخذت تسعى لانهاء او تقليص النفوذ الهاشمي في الحجاز، ولكي تكرس وجودها هناك، أرسلت القوات العسكرية للحجاز ، وسوف يكون هذا التصرف مدعاة للخلاف بين الهاشميين والعثمانيين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وسيترتب على ذلك الخلاف نتائج هامة تنعكس ليس فقط على العلاقات الهاشمية العثمانية بل على العلاقات العربية العثمانية بعامة.

خشي العثمانيون من تزايد نفوذ الهاشميين في الجزيرة العربية، وخافوا من أن يقوم الشريف محمد بن عون بالاستقلال عن السلطة العثمانية تماما كما فعل محمد علي باشا وابنه ابراهيم باشا في

مصر. فحاولوا السيطرة على القبائل العربية ولكن الأخيرة رفضت لأنها لا تدين بالولاء الا لشريف مكة. وعندما حاولت فرض سيطرتها بالقوة، قام البدو بثورة عليها واغلقوا كل الطرق المؤدية الى مكة فجنح العثمانيون الى المسالمة فعقدوا اتفاقا للسلم عام ١٨٥٠م. ولكن الاتفاقية لم تكن الا اتفاقية مؤقتة، فقد صمم العثمانيون القضاء على استقلال الحجاز والقضاء على نفوذ شريف مكة، ولم يكن باستطاعتهم عمل ذلك الا بالقوة العسكرية، ولم تكن لديهم القوة في مكة، فعمدوا الى ارسال ألف جندي بصفة حجاج،وحال وصول هذه القوة الى مكة ، حاصروا قصر الشريف محمد بن عون سرا، واخذوه على غرة، فلم يجد بدا من التسليم فألقوا القبض عليه عام ١٨٥١م، ونقلوه الى اسطنبول مع اثنين من ابنائه.

وفي اسطنبول ولد حفيده الحسين من ابنه علي بن محمد بن عون عام ١٨٥٣م. وهكذا بدأت الدولة العثمانية تزيد من نفوذها وسطوتها في الحجاز فأرسلت القوات العسكرية اليها لدعم نفوذ الولاة، وساعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م الى تعزيز تلك القوات عن طريق البحر. كما عملوا على بث روح التنافس بين افراد الاسرة الهاشمية كي تكون لهم اليد الطولى في ادارة شؤون البلاد مباشرة، كما حاول السلطان الغاء شرافة مكة. ولكنه حذر من ان العرب في الحجاز لن يقبلوا هذا الاجراء، لأن شرافة مكة مركز ديني في الدرجة الاولى، وان فعل ذلك فسيؤدي هذا الأمر الى الاضرار بالقوات العثمانية في الحجاز.

توفي محمد بن عون عام ١٨٥٨م، أما الشريف حسين بن علي فقد نشأ في مكة، وتناوب في شرافة مكة عدد من الاشراف حتى سنة ١٨٨٢م حيث عين السلطان في شرافة مكة الشريف عون الرفيق ابن محمد بن عبد المعين بن عون. وقد اساء الشريف عون الرفيق التصرف في ادارة شؤون البلاد، وأساء الى علماء وفقهاء الحجاز، ولم يجد الشريف حسين الذي اشتد عوده بدا من الوقوف في وجه عمه فقد استنكر مظالمه، ففترت العلاقات بينهما واختلفا. فأتهم الشريف عون الرفيق ابن اخيه الحسين بن علي بالتحريض ضده، وعمل جاهدا للايقاع به لدى السلطات العثمانية، فاستدعاه السلطان العثماني الى اسطنبول، ولم يجد بدا من تلبية الدعوة، فغادر الحجاز عام ١٨٩٣م وفي عام ١٨٩٤م لحق به اولاده الثلاثة علي وعبدالله وفيصل.

الحسين بن علي في اسطنبول:

كان هذا الاستدعاء هو نفي للشريف حسين ، وسبب هذا النفي معارضته للظلم والابتزاز الذي كان يقوم به عمه والوالي العثماني. فأقام في العاصمة العثمانية سبعة عشر عاما. وقد حاول السلطان عبدالحميد تطييب خاطره، فما لبث ان عينه عضوا في مجلس شورى الدولة.

وُصف الشريف حسين بالورع والتقوى وقوة الشخصية، فنال

احترام الجميع، فأصبح بيته مأوى لكبار الرجال من العرب والاتراك، يجتمعون اليه ويتذاكرون في امور الدولة وشؤونها الداخلية والخارجية وكان الشريف حسين على اطلاع وثيق بشؤون الدولة الداخلية والخارجية ، بسبب قربه من السلطة المركزية، ووجوده في العاصمة ، واتصاله بكبار رجال الدولة.

تولى الاتحاديون السلطة بعد ثورة عام ١٩٠٨م ، وعزلوا شريف مكة الشريف علي بن عبدالله (ابن عم الشريف حسين)، وعينوا بدلا منه الشريف عبد الاله بن محمد ، وكان الشريف عبد الاله مقيما في اسطنبول ، فلم يلبث ان توفي وهو يستعد للسفر الى مكة. ازاء ذلك عمد حزب الاتحاد والترقي الى تعيين الشريف علي حيدر من فرع الاشراف ذوي زيد، وهو الفرع المنافس لذوي عون في شرافة مكة، وهم بذلك يودون نقل شرافة مكة من ذوي عون الذين كانوا يتولونها منذ عهد محمد علي باشا.

الحسين بن علي اميرا على مكة:

ويذكر الملك عبدالله في مذكراته أنه شعر بأن الفرصة اصبحت مواتية لتسلم والده امارة مكة ، فهو اكبر افراد العائلة الهاشمية واحقهم بالامارة فسعى لدى والده بضرورة مطالبته بالمنصب، واخيرا اقتنع الحسين بوجهة نظر ابنه، فكتب برقية للسلطان عبدالحميد الثاني الذي استجاب لطلبه، ففي الأول من تشرين الثاني عام

١٩٠٨م توجه الامير حسين بن علي الى القصر السلطاني فعينه السلطان اميرا على مكة، وصدر الفرمان بهذا التعيين. وبتعيين الشريف حسين امارة مكة، تبدأ صفحة جديدة في تاريخ العلاقات العربية التركية وتأخذ بعدا جديدا مهد الى قيام الثورة العربية الكبرى.

حاول أعضاء حزب الاتحاد والترقي في الحجاز الطلب من الشريف حسين حال وصوله عام ١٩١٠م السير على نهج الدستور الجديد، الا أنه اجابهم بأنه لن يتنازل عن حقوق أبائه وأجداده التي أعطاها اليهم السلاطين العثمانيون من عهد السلطان سليم الاول، وأنه متمسك بهذه الامتيازات التاريخية ، ومن هنا بدأ الخلاف بين الشريف حسين وحزب الاتحاد والترقي. واستطاع الشريف حسين أن يعيد لمنصب الشرافة هيبتها وقوتها، وتمكن من بسط نفوذه على جميع القبائل المجاورة ، وذهب الى ابعد من ذلك في توسيع نطاق حدود سيطرته على المناطق المجاورة في الجزيرة العربية. وعندما قوي نفوذ الاتحاديين حاولوا اخضاع الحجاز لنظام الحكومة المركزي، فأرسلوا واليا قويا الى الحجاز، ولكن الشريف حسين استاء من هذا التصرف، فاضطر الاتحاديون الى أن يطلبوا من الوالي مسايرته حتى لا يخرج عن طاعة الدولة العثمانية.

وكان الشريف حسين عثمانيا متمسكا بروابط الأخوة الاسلامية

بين العالم الاسلامي وبين الخلافة العثمانية في اسطنبول. وقد عاش هو نفسه ردحا من الزمن فيها، وشاهد بأم عينيه التطورات الخطيرة، والأزمات المالية الشديدة التي كانت تعاني منها الدولة، وزيادة نفوذ الدول الكبرى لدى الدولة العثمانية، والثورات وحركات التمرد والانفصال في الولايات العثمانية ، وانقسام رجال الحكم في اسطنبول بين مؤيد لبريطانيا أو لفرنسا، أو لروسيا، وتدخل السفراء الاجانب في صراع الكراسي والاعوان. وكان الشريف حسين رجل دولة، له علاقاته بكبار رجال الدولة في اسطنبول، وعضوا في شورى الدولة، فشاهد الحالة المتردية التي وصلت اليها الدولة العثمانية، الا ان ارتباطه بالخليفة المسلم كان وثيقا.

وقد آمن الشريف حسين وانجاله بالاصلاح والتطور، وكانوا يفضلون الحكم النيابي، الذي عبر عنه الملك عبدالله في مذكراته قائلا: فهو حكم من الأمة للأمة فرئيس الدولة سواء أكان ملكا أم رئيسا للجمهورية فهو لا يحكم حكما مباشرا او حكما استبداديا أو ديكتاتوريا، بل يحكم حكما دستوريا نيابيا، وعليه أن يختار رئيس الأكثرية الحزبية، فيكلفه بأن يشغل هيئة الوزارة، والحكومة والحالة هذه تحكم بالقوانين التي أقرها نواب الدولة من قبل، والتي تسنها بعد ذلك. وقد انتقد الملك عبدالله في مذكراته ما كان يجري داخل الدولة العثمانية، ومن تسلط رجال الاتحاد والترقي، وتدخل المسؤولين

من ولاة ومتصرفين في انتخابات المجلس النيابي، فينجح من كان مواليا لهم، أو من هو من أتباعهم، وقد حاولوا ذلك في الحجاز، ولكنهم لم يفلحوا. أما عن صيغة الحكم في الدولة العثمانية آنذاك فقد صورها الملك عبدالله فقال: ان أكثرية الوزارة كانت تختار من العنصر الحاكم، وللعرب وزير واحد هو وزير الأوقاف ومن الاقليات الاخرى يختار الصدر الاعظم من أراد بالمناوبة، وفي هذا ما فيه من حكم الناس حكما استبداديا، تقوم به وزارة عنصرية. اذن فالفهم الديمقراطي ومواكبة روح العصر كانت مبدأ أساسيا لدى هذه الأسرة التي استوعبت التغيرات في العالم من حولهم فآمنوا بأن هذا النموذج من الحكم هو الذي يجب أن يسود بين مواطنيهم وسوف يعملون على تطبيقه في الاقطار التي حكموها فيما بعد.

الجفوة بين العرب والاتراك:

ازدادت عدائية حزب الاتحاد والترقي للعنصر العربي ، فقامت مجموعات بمهاجمة منازل ابناء العرب المقيمين في اسطنبول، فتألم من ذلك أبناء الجالية العربية هناك، ورأوا فيه عدوانا مقصودا يراد به الاساءة الى ابناء العنصر العربي كافة. فعقدوا الاجتماعات ، واتفقت كلمتهم على انشاء جمعية "الاخاء العربي" عام ١٩٠٩م ، وجعلوا أهم أهدافها تعاون العرب على اختلاف اقطارهم وأمصارهم في الدفاع

عن كرامة الأمة العربية وعزتها. كما ان رجال العهد الجديد قاموا باقصاء الموظفين العرب عن وظائفهم بحجة التطهير، وأحلوا محلهم موظفين أتراك . وقد احتجت جمعية الاخاء العربي على تلك التصرفات ولكن دون جدوى، فقد كان شعار رجال الحكم الجديد ، العمل على صبغ الدولة بالصبغة التركية، وأقصاء ابناء العناصر الأخرى عنها، وكان ذلك سببا في ازدياد الجفاء بين العرب والترك. ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل عمدت بعض الصحف عام ١٩١٠م كجريدة (طنّين) وجريدة (أقدام) الى نشر عدد من المقالات تهاجم فيها العرب، وتذكر بعض نقائصهم. فتألم بعض الشباب العرب الذين كانوا يدرسون في اسطنبول من هذه الأعمال وقاموا بعدة مظاهرات احتجاجية، هاجموا فيها الجريدتين، وكانت ردة الفعل لديهم أن أخذ بعضهم يحمل فكرة الانفصال عن العثمانيين، وطفقت فكرة العنصرية تزداد في مواجهة العنصرية التركية المتزايدة. فأسسوا عددا من الجمعيات السرية والعلنية داخل العاصمة وخارجها ، شعارها : الدعوة للاستقلال العربي، وانشاء الدولة العربية. وكان ولادة هذه الجمعيات نتيجة مخاض كبير قاست الامة العربية منه الكثير منذ قرون عديدة، بدأت بالثورات والتمرد عل الواقع المرير الذي فرض عليها من عناصر أخرى دخلت الى مجتمعاتنا واحكمت السيطرة عليه. الا ان الاتصال الذي حدث بين الوطن العربي والغرب الاوروبي، والاحتكاك المباشر بينهما بعد غزو نابليون لمصر، وانتشار التعليم

وظهور المصلحين العرب، والظلم والاستبداد الذي عانت منه الامة العربية كل ذلك مهد لقيام نهضة فكرية وثقافية وسياسية كانت الاساس لبروز جمعيات علنية وسرية حمل رجالها لواء النهوض والانعتاق من نير الاستبداد، والدعوة لوحدة الوطن العربي واستقلاله. نذكر من تلك الجمعيات جمعية الاخاء العربي، والمنتدى الادبي، والجمعية القحطانية، والكتلة النيابية العربية، وحزب اللامركزية العثماني، وجمعية العهد، وجمعية البصرة الاصلاحية، والجمعية الاصلاحية البيروتية، ثم جمعية الجامعة العربية التي أنشئت عام ١٩١٠م، وكان هدفها اقامة حلف بين امراء الجزيرة العربية ونبذ الشقاق والخلاف بينهم، والعمل على تقوية الروابط بين الجمعيات العربية الاخرى لما فيه خير الامة ومصلحتها، وقد وافق وأيد هذه الجمعية كل من أمير نجد عبد العزيز آل سعود، وأمير عسير محمد علي الادريسي، وامام اليمن يحيى حميد الدين. ويعتبر الامير عبدالله بن الحسين احد اعضائها العاملين. أما جمعية العربية الفتاة فقد اسست عام ١٩١١م ومن أهم مبادئها العمل على النهوض بالامة العربية حتى تبلغ مصاف الدول المتقدمة، والنضال من أجل تحرير الوطن العربي واستقلاله التام عن الاتراك. وقد ضمت هذه الجمعية خيرة أحرار ومفكري الامة العربية، نذكر منهم الامير فيصل ابن الحسين، الذي كان من أعضائها النشطاء، كما أصبح حلقة الوصل بين هذه الجمعية وجمعية العهد ووالده الشريف حسين الذي عرف

رجالها واقتنع بها وبأهدافها. وقد كان بعض زعمائها ضمن القافلة الأولى من الشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا السفاح عام ١٩١٥م.

الموقف الدولي والحركة العربية:

أما بالنسبة للموقف الدولي، فقد حاولت الدولة العثمانية الحد من تدخل كل من انكلترا وفرنسا وروسيا في شؤونها والتآمر عليها، وذلك من خلال التقرب من المانيا. فمنحت المانيا عدة امتيازات ومشاريع اقتصادية كبيرة، بالاضافة الى ان وزير الحربية العثماني أنور باشا استعان عام ١٩١٣م ببعثة عسكرية ألمانية لاصلاح الجيش العثماني وتدريبه وتسليحه على اسس عصرية. أزاء ذلك عمل الساسة الانكليز والفرنسيون والروس المتواجدون في اسطنبول على ان يباعدوا بين الالمان والعثمانيين، ولكنهم فشلوا بسبب الظروف الدولية المحيطة آنذاك.

عندئذ عملت انكلترا الى التقرب من العرب، وكان سفراؤها وخبراؤها يرصدون تطورات الاحداث في البلاد العربية، ويرون بعينهم الثاقبة تفاقم الخلاف بين العنصرين العربي والتركي. فوجدوا أن من مصلحتهم التقرب من الحركة العربية الناشئة لا حبا فيها، بل من أجل مصلحتهم، ومحاولة استغلال هذه الحركة بما يخدم مصالحهم وسياستهم الخارجية الاستعمارية.

ولما وضح للزعماء العرب مدنيين وعسكريين استحالة ردع الاتحاديين عن تصرفاتهم، ثم اشتطاطهم في مطاردة هؤلاء الزعماء وشنق العديد منهم، وعدم رغبتهم في التعاون الصادق مع الزعامات العربية، وتحدي مشاعرهم القومية والحضارية، واطلاعهم على ما يدور في العالم من حولهم، وظهور مبدأ القوميات الذي أخذت به بعض الشعوب الاوروبية واتحدت على اساسه عندئذ بدأوا يتطلعون الى قيام النهضة العربية، وتوحيد أقطار الامة العربية ضمن دولة مستقلة واحدة بعيدا عن التسلط الجنسي الواحد الذي اصبحوا يكتوون بناره.

كانت الاحداث الدولية تنبئ بقيام صدام دولي، وكان لا بد من شرارة لهذا الصدام، فحدث في عام ١٩١٤م ان قتل ولي عهد النمسا وزوجته بسراجيفو، فتوترت العلاقات الدولية، وأعلنت الحرب العالمية الأولى، ودخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا.

الحسين بن علي والحرب العالمية الأولى:

حذر الشريف حسين بن علي السلطان محمد رشاد من مغبة دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا، خصوصا وأن انكلترا دخلت الحرب الى جانب روسيا وفرنسا، ذاكرا أن اساطيل الدولتين الانكليزية والفرنسية تتواجد في المياه الاقليمية العربية سواء في مياه الخليج العربي أو البحر الاحمر وقناة السويس وسواحل

البحرالمتوسط، بالاضافة الى سيطرتها واستعمارها أجزاء من الأرض العربية، ولو فكرت الدولة العثمانية الاعتماد على أهالي تلك المناطق للدفاع عنها، فهم ليسوا منظمين ولا مسلحين بالشكل الذي يستطيعون معه مقابلة جيوش أوروبا المنظمة. لقد كان الشريف حسين صادقا في نصيحته التي أسداها للدولة العثمانية، وكان على اطلاع باحوالها وظروفها الداخلية، وقدراتها العسكرية مقارنة بقوات الحلفاء. كان بعيد النظر، لا يريد زج الدولة في أتون حرب لا مصلحة لها بها، بالاضافة الى ان الخطر الاستعماري الغربي كان يحيق بالولايات العربية، وكانت تلك الدول تنتهز كل مناسبة لاقتناص أجزاء الوطن العربي واستعماره. ويذكر فوزي القاوقجي في مذكراته، أن الانهيار سيقع في معظمه على العرب، وان ما سيصيب الامبراطورية العثمانية ومؤسساتها من الانهيار سيكون أقل بكثير مما سيصيب العرب.

ومع ذلك أصرت الدولة العثمانية على موقفها، وأرسلت للشريف حسين تطلب منه ارسال المتطوعة العرب، واعلان "الجهاد المقدس" في اقطار الاسلام من مكة باسم الخليفة العثماني محمد رشاد على روسيا وفرنسا وانكلترا، وألحت في طلبها لما لشريف مكة من موقع خاص لدى المسلمين، وان هذا النداء سيلقى الترحيب ان خرج من مكة. ولكن الشريف حسين أجاب بأن على الدولة العثمانية ارضاء العرب في المقام الاول، وذلك باعلان العفو العام عن المحكومين

السياسيين، ومنح سورية والعراق ادارة لا مركزية واعتبار الشرافة بمكة معترف لها بحقها الموروث والمتفق عليه منذ عهد السلطان سليم، وان تكون وراثية في انجاله. ووعد الشريف المسؤولين العثمانيين بأنه في حالة تلبية مطالبه، فسيرسل المجاهدين الى العراق وسورية. وترددت البرقيات بين الشريف حسين والصدر الاعظم، ولكنها لم تسفر عن نتيجة يتفق عليها الطرفان بل كان رد الدولة العثمانية في بعضها قاسيا. ازاء ذلك وجد الشريف حسين ان الظروف الدولية والعربية تملي عليه بأن يكون في مستوى أحداثها خصوصا وأنه الزعيم العربي المؤهل لقيادة الأمة والنهوض بها وخلاصها من الاخطار المحدقة بها وقد كان على اطلاع تام بما يجري داخل الوطن العربي ودرجة الغليان التي أصبحت لدى احرار الامة ومواطنيها فبادر الى ارسال نجله الامير فيصل الى دمشق للاتصال برجال الحركة العربية ومعرفة ما لديهم والتنسيق معهم، وضم الصفوف وتلاحم القوى الوطنية والقومية تمهيدا لعمل كبير يخططون له.

الحسين بن علي وانكلترا:

ورغم محاولات انكلترا أخذ موافقة الشريف حسين للوقوف ضد العثمانيين والانضمام الى صف الحلفاء، الا أن الشريف حسين كان رافضا ذلك رغم الحاح مندوبيهم ووعودهم بأن انكلترا ستساعد

العرب في نيل استقلالهم وبعد أن تحقق الحسين من صلف وظلم قادة الاتحاد والترقي وظروف الحرب العالمية الأولى ونضال احرار العرب وتضحياتهم، وافق من حيث المبدأ الدخول في مفاوضات معهم على أساس التحرير وتوحيد بلاد العرب واعلان الاستقلال. وفي سنة ١٩١٦م تلقى الشريف حسين رسالة من هنري مكماهون أكد فيها ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية موافقة على مطالب الشريف حسين، وتلاها رسالة ثانية تعهدت بريطانيا بموجبها تقديم المساعدات للعرب لتحرير بلادهم، والاعتراف باستقلال الدولة العربية الموحدة بعد الحرب، وفق ما جاء في ميثاق الهيئة المركزية لجمعيتي العهد والعربية الفتاة مع بعض التحفظات على الحدود. وكان لتلك التعهدات التي قطعتها انكلترا على نفسها الاثر القوي بأن يعلن الشريف حسين الثورة العربية ضد الاتراك، ودخول الحرب لجانب الحلفاء. بالاضافة الى الاعمال التعسفية التي قام بها جمال باشا ضد أحرار العرب وشنقهم ونفيهم وسجنهم. فاتصل العلماء والفقهاء والزعماء السياسيون والوجهاء ورجال العشائر في بلاد الشام والعراق بالشريف حسين يناشدونه انقاذ المعتقلين والوطنيين ورفع الظلم عنهم وان يقود ثورتهم ضد العثمانيين. وقد وضح للشريف حسين بعد اتصاله بجمعيتي العربية الفتاة والعهد ان الآراء متطابقة بين الاطراف الثلاثة، فالكل يرى أن مصير الولايات العربية أصبح في خطر بعد دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا ولذلك يجب

بذل الجهود لضمان حريتها واستقلالها. وكانوا يرون أنه اذا وضح أن للدول الاوروبية مطامع في هذه البلاد فإنهم ملزمون للعمل الى جانب الدولة العثمانية لمقاومة التدخل الاجنبي مهما تكن صورته. ومن هنا كان لا بد من وجود ضمانات قوية تتيح استقلال العرب في المستقبل. ثم اتفق اعضاء جمعيتي العهد والفتاة على خطة عمل، ووضعوا ميثاقا يتضمن الشروط التي يطالب بها الزعماء العرب كي يقفوا الى جانب بريطانيا. وطلبوامن الامير فيصل نقل هذا الميثاق الى والده في مكة، ليعرضه على الانكليز ومعرفة ما اذا كانوا مستعدين للقبول به كأساس لعمل مشترك، وكانت بنود هذا الميثاق تنص على ما يلي:

١- اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة من خط مرسين أضنة شمالا الى منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية جنوبا ما عدا عدن.

٢- الغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للاجانب بمقتضى الامتيازات الاجنبية.

٣-عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا العظمى وهذه الدولة العربية المستقلة.

٤- تقديم بريطانيا وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية.

وكان الهدف من هذه الشروط هو الاستقلال مضمونا من أي

تدخل أجنبي وأن العرب كانوا على استعداد للتحالف مع بريطانيا اذا كانت هذه مستعدة لأن تعترف للعرب بهذا الاستقلال. وكان الامير فيصل أثناء محادثاته مع رجال جمعيتي العهد والفتاة، يعرب عن شكوكه في نوايا بريطانيا، وفي مدى قبول الحلفاء بهذه الشروط، وقد تعهد عدد من الزعماء العرب بعد أن أقسموا اليمين بأن يعتبروا الشريف حسين هو ممثل الشعب العربي، وان تهب الفرق العسكرية العربية المرابطة في بلاد الشام لتحقيق الشروط الواردة في ميثاق دمشق، اذا ما اتفقت بريطانيا مع الشريف حسين. وكتأكيد لهذا العهد أعطى الشيخ بدر الدين الحسيني أكبر علماء دمشق خاتمه الى الامير فيصل لكي يسلمه لوالده كرمز لثقة أهل الشام به.

الحسين بن علي
قائدا للثورة العربية الكبرى والنهوض بالامة:

كان الشريف حسين يرى أن المسؤولية الملقاة على عاتقه كبيرة وصعبة وكان في غاية الحذر من المجازفة بمصير أمة ووطن. وكان لتسارع الاحداث في المنطقة العربية أثر في تغيير فكره تجاه الدولة العثمانية، فعندما توجه اليه رجال النهضة العربية في سورية والعراق وبايعوه بالزعامة والقوا على كاهله مهمة قيادة العرب نحو الوحدة والاستقلا ل وجدت تجاوبا لديه، ولم يكن بمقدور العرب تحقيق هذين الهدفين دون معاضدة ومساندة خارجية. كل هذه الامور شكلت عبئا

ثقيلا ومسؤولية كبيرة على الشريف حسين ، مما جعله يستقر في رأيه الى جانب آراء أبنائه الثلاثة علي وفيصل وعبدالله، الذين شاركوا زعماء النهضة العربية في تطلعاتهم الوحدوية بل انخرطوا ببعض تلك الجمعيات ، ورأى الزعماء العرب من سورية والعراق ومصر ضرورة التفاوض مع بريطانيا للحصول على الدعم الدولي والمعونة المادية والعسكرية التي كان العرب بأمس الحاجة اليها.

وقد كان تصور الحسين بن علي للوحدة بين الولايات العربية عل اساس وحدة فدرالية تشبه الوحدة بين الولايات المتحدة الامريكية، بحيث يتمتع كل قطر عربي بالاستقلال المحلي بينما تتولى الحكومة المركزية السياسة الخارجية والدفاع والعلاقات الاقتصادية مع دول العالم المختلفة. فالهاشميون لم يكونوا يطمعون في ملك او سلطان او حكم الولايات العربية ، بل كان هدفهم الاسمى هو استقلال الامة العربية، واظهار كيانها، وحكم نفسها بنفسها على أسس ديموقراطية برلمانية حديثة، والسير بها نحو الرقي والتقدم ، لتأخذ مكانتها بين امم العالم، كأمة متحضرة متقدمة ذات رسالة روحية متجددة عظيمة.

وعندما اقتنع الشريف حسين بأهداف الثورة ، ورأى ان الظروف أصبحت مواتية لقيامها ضمن قرارات مؤتمر الطائف الذي عقد في كانون أول ١٩١٥م بحضوره وحضور أنجاله وبعض المقربين اليه، أعلن الثورة العربية من قصره في مكة في اليوم التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦م.

فالثورة العربية لم تكن ثورة الحسين بن علي والهاشميين بل كانت

ثورة امة أبية أُبعدت عن الحكم منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وعانت من الظلم والجور والتعسف والاستبداد الشيء الكثير. فالثورة العربية هي محصلة طبيعية لنضال وتضحيات كثيرة قدمها العرب عبر قرون عديدة. عانى اجدادنا أهوال الطبيعة وكوارثها وغزو الاتراك السلاجقة والفرنجة والتتار، وظلم المماليك الذين ابعدوهم عن العسكرية والادارة، ونظام الاقطاع الحربي الذي جعلهم أقنانا للارض وعبيدا للمقطع، ثم ما قام به العثمانيون من ظلم واستبداد ، فعاشوا في ظلمات حالكة. وكان لا بد من النهوض بعد هذه المعاناة، فكانت الثورة العربية، ثورة الامة كلها والتي كانت ضرورة لا بد منها ان تحدث في أمة حية كالامة العربية. وقد وجد رجال نهضتها واحرارها في الشريف حسين العربي الثائر المتمرد القائد لها، فكان الخيار الأمثل والكفوء، والذي بويع ملكا على العرب عام ١٩١٧م كي تأخذ الثورة الاعتراف الدولي والمحلي لأن الاتراك اعتبروا رجالها عصاة خارجين ، أما الحلفاء فكانوا ينظرون اليهم كثوار ولا أكثر. ورغم تردده أولا في قبول الملك الا انه قبل لما فيه مصلحة الأمة واستقلالها. وهكذا رغم المخاطر والمجهول فقد لبّى الحسين نداء أحرار الأمة ومفكريها، فقاد الثورة عن ايمان وقناعة، لأنه وانجاله كانوا ثوارا واحرارا.

قدمت الثورة العربية كل المساعدات الممكنة للحلفاء في حربهم ضد

تركيا، ولكن نوايا الحلفاء كانت غير صادقة، فمنذ الأيام الأولى للثورة بدأت بريطانيا وفرنسا تكيد للثورة وحاولوا تحجيم الثورة العربية وحصرها في الحجاز فقط وعملوا على ان يحولوا دون وصول قواتها الى دمشق. بالاضافة الى انهم عقدوا اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م مع فرنسا، اقتسموا بموجبها اقطار العالم العربي ، واعلن الانجليز وعد بلفور لليهود عام ١٩١٧م.

الحلفاء يخونون الثورة العربية:

وهكذا تحقق للشريف حسين أن الانجليز قد طعنوا الثورة وطموحات وآمال الأمة العربية، وان الوعود والعهود التي قطعوها اليه لم تكن الا حبرا على ورق، وخشي من أن يتهم بالتواطؤ معهم ضد مبادىء الأمة وثورتها. كان الحسين وطنيا صادق المشاعر غيورا على مصلحة وطنه وأمته فلما شعر بأنه قد خدع من قبل الحلفاء وان الأمة العربية لم تحقق اهدافها في النهضة كاملة، أخذ ينتهز الفرص للابتعاد عن الحكم ويهدد بالاستقالة وذلك من منطلق ايمانه بأنه لم يوفق في تحقيق ما ثار العرب من أجله فقد تحمل هو نفسه تبعية هذه النتائج، وآثر الابتعاد عن الحكم من منطلق فهم عصري لحاكم قوي فالحكم لم يكن غاية بل وسيلة لقيادة الامة نحو الأفضل.

ولكي تزيد بريطانيا من ضغطها على الشريف حسين قامت بعقد

معاهدات مع القوى المحلية في الجزيرة العربية، الوهابيون في نجد، والأدارسة في عسير، والزيدية في اليمن، وذلك كي تشغل الشريف حسين في صراعات مذهبية محلية، وتحول بينه وبين المطالبة بحقوق الأمة العربية واستقلالها، كما نصت على ذلك المعاهدات والعهود التي قطعتها له.

الحسين بن علي والقضية الفلسطينية:

بقي الشريف حسين على موقفه النبيل من قضايا أمته وفي مقدمتها قضية فلسطين التي طالب باقامة حكم عربي مستقل فيها. ولما كان الانكليز قد ملوا شكواه وملوا تبكيته لهم، وتشهيره بهم، رأو أن يتخلصوا منه بمشروع جديد أعدوه، وحمل هذا المشروع الى مكة الدكتور ناجي الأصيل في نيسان ١٩٢٤م، فرحب به الحسين وارتاح مبدئيا، فنشرت جريدة القبلة الناطقة بإسمه في عددها رقم ٦٨٨ البيان الرسمي التالي:

"نصرح في هذا العيد المبارك بأن المعاهدة العربية البريطانية المؤسسة على مقرراتنا الأساسية، والتي يعترف لنا فيها صاحب الجلالة البريطانية باستقلال العرب في جزيرتهم وسائر بلادهم، وتتعهد لنا حشمته الملوكية بالمساعدة الفعلية لتأسيس الوحدة العربية الشاملة لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرقي الأردن، وسائر البلاد العربية في جزيرة العرب ما خلا عدن. ولهذا نأمر أن

يعد هذا اليوم المبارك عيد الأمة العربية والله الموفق".

الا ان هذا المشروع عارضه الفلسطينيون لأنه لم يذكر صراحة الغاء وعد بلفور ، واقامة حكم عربي مستقل فيها، فأرسل الحسين الى زعماء فلسطين يؤكد لهم حرصه على حقوق فلسطين وشعبها، وأبدى رغبته في الاجتماع بهم لتوضيح موقفه، وبر بوعده وسافر الى عمّان واجتمع بوفد من عرب فلسطين برئاسة كاظم باشا الحسيني، ووعد بأنه لن يوقع عهدا او اتفاقية بشأن فلسطين الا بعد اخذ موافقتهم عليه. لذا لم يوقع الحسين مشروع الاتفاق، بل أرسل للحكومة البريطانية تحفظاته عليه والخاصة بفلسطين. ووصل الدكتور ناجي الاصيل الى لندن في ١٤ أيلول ١٩٢٤م يحمل النص النهائي للمشروع مع تحفظات الحسين التي تقضي بانشاء حكومة دستورية في فلسطين لكفالة حقوق أهلها.

نهاية الحسين بن علي:

كان الحسين بن علي شخصية عربية فذة، عرف بطيب القلب ونقاء السريرة. ورغم تمرسه بالحكم واقامته الطويلة في اسطنبول واتصاله برجال الحكم والسياسة هناك ، ورغم شجاعته واقدامه وصبره واخلاصه ووطنيته الصادقة، الا أن الدربة والحنكة بالمؤامرات السياسية كانت تنقصه. لقد أعطى كلمة للحلفاء والانجليز بشكل خاص، ووعدهم بالوقوف الى جانبهم في حربهم ضد الاتراك، وبر

بوعده، الا انهم غدروا به وبالثورة، لأن هذه الوعود لم تكن معاهدة موقعة من الحكومة البريطانية ومن مجلس العموم البريطاني ومن هنا فهي بالنسبة اليهم لا شئ . هذا بالاضافة الى تمسكه برأيه واصراره على محاربة الوهابيين، رغم نصيحة نجله الأمير عبدالله بأن يتخلى عن ذلك لأن انكلترا كانت تدعمهم، وقد عقدت المعاهدات والاتفاقيات مع الامير عبدالعزيز آل سعود، وكان الامير عبدالله يعلم ذلك، لذا رأى بفطنته ووضوح رؤيته عدم زج جيوش الثورة في حرب يمكن تأجيلها لظروف أكثر ملاءمة. الا ان اصرار الحسين بن علي على الحرب جعل الأمير عبدالله يمتثل للأمر ويصطدم مع الوهابيين في معركة تربة التي هزم بها جيش الحسين، وكانت من الاسباب الهامة في فقد الهاشميين للحجاز. ويذكر الملك عبدالله بن الحسين في مذكراته ان الملك حسين اصبح بعد واقعة تربة كثير الصلف، كثير النسيان ، كثيرالتردد، قليل الاعتماد على من كان يعتمد عليه، وللمسألة خطورتها، ولا شك أن المصير الذي آلت اليه الثورة ، وتآمر انجلترا وفرنسا عليها وعلى الوطن العربي وتقسيمه ، واعطاء وعد بلفور لليهود في فلسطين، وتأييد بريطانيا للقوى المحلية في الجزيرة العربية، كلها عوامل أثرت في نفسية الحسين وشخصيته فانهكت قواه وغيرته.

ثم ان تطور الأحداث وتآمر بريطانيا عليه جعلته يؤثر الابتعاد عن الحكم، فاستقال عن العرش لابنه الملك علي واقام في العقبة، الا ان

وجوده في العقبة قريبا من فلسطين سيؤدي الى اذكاء الروح القومية والوطنية لدى احرار فلسطين والأمة العربية، فعملت بريطانيا على ابعاده الى قبرص عام ١٩٢٥م فاقام فيها مدة ست سنوات الى ان اشتد المرض عليه، فنقل الى مدينة عمان في الأردن فتوفي فيها في حزيران عام ١٩٣١م ونقل جثمانه الطاهر الى بيت المقدس حيث دفن في الحرم القدسي الشريف. وبذلك انتهت حياة بطل وقائد وملك وثائر نهض بالامة من سبات طال قرونا عديدة. ومهما قيل ويقال في الحسين فلا شك انه خط صفحة مشرقة في تاريخنا الحديث، ومهد الطريق للفكر القومي بان يزدهر ويسمو ، وللأمة بأن تصحو وتقاوم وتسعى الى وحدتها وحريتها واستقلالها حتى الوقت الحاضر.

الثورة العربية الكبرى (دراسة تحليلية لبيانها)

ا- بيان الثورة العربية:

أشار بيان الثورة العربية الذي اصدره الشريف حسين بن علي الى الاوضاع المتردية التي وصلت اليها الدولة العثمانية بعد ان استولى على الحكم حزب الاتحاد والترقي ، وسيطرتهم على كل مقدراتها، والتفريط في املاكها كالبوسنة والهرسك والممالك الالبانية والمكدونية، وطرابلس الغرب وبرقة وتحميلها الديون الفاحشة، وتمزيقهم الدولة واثارة النعرات بين الدولة وشعوبها، وتكريسهم بأن العنصر التركي هو العنصر السائد عليهم جميعا، ونفث الضغينة والبغضاء بين الترك وتلك الشعوب. أما بالنسبة للعرب فقد أساؤا الى الدين الاسلامي وحادوا به عن الصراط فجاهروا بالالحاد قولا وعملا ونشروا الكتب التي تهاجم الاسلام، وحرفوا نصوص القرآن والسنة النبوية كما قاموا باضطهاد العنصر العربي، وعملوا على طمس لغتهم العربية وقتلها وابطالها من المدارس ، ومنعها من الدواوين والمحاكم محاولين تتريك الأمة العربية.

كما انتقد البيان دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى التي وصفها بأنها حرب (اوروبية)، مما أدى الى هلاك الدولة والامة معا، واستنزاف خيراتها وثرواتها. كما وان الاتحاديين عملوا على الفتك

بجميع المخالفين لهم ولسياستهم الخرقاء هذه ولادارتهم الظالمة فنكلوا بالعرب وزعمائهم أي تنكيل، فصلبوا نوابغهم ورجالات النهضة العربية حتى وصل الامر بهم الى خراب الديار المقدسة في الحجاز وتخويف وتجويع اهلها. ولم يكتفوا بذلك بل نكلوا بالعرب مسلمين ونصارى، فاستنوا القوانين العرفية واحلوا بها دماء الامة واموال الشعوب، وهجّروهم من ديارهم ، كما فتكوا بالارمن رجالا ونساء واطفالا مما يتنافى مع تعاليم الاسلام السمحة وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من آذى ذميا فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة). وقوله صلى الله عليه وسلم :(اذا ظلم اهل الذمة، كانت الدولة دولة العدو).

ثم ان البيان اوضح ان الامة العربية لا يمكن ان ترضى عن هذا الظلم والاستبد اد والاستهانة بدينها ولغتها وكرامتها وزهق ارواح مفكريها وزعمائها وهتك حرمات المحصنات من النساء العربيات والاعتداء على قبور الاموات والمجاهدين، وان الامر وصل الى درجة الغضب الجامح الذي لا يطاق. فالسكوت يعني زوال هذه الامة العربية في دارها وموطن منعتها وعزها وفخارها. ثم ان سياسة التضييق والتجويع والظلم والاستبداد التي اتبعها الاتحاديون ضد العرب، جعلت الامر لا يطاق، لذا كان لا بد من مقاومة الطغاة ، والمطالبة بالاستقلال التام، وقطع كل صلة بهؤلاء السفاكين للدماء الناهبين للاموال.

واعلن البيان بأن البلاد قد هبت للنهوض بأمر استقلالها، بعد ان ضربت على ايدي عمال الاتحاديين ورجال حاميتها في الحجاز، فاستقلت فعلا وانفصلت عن البلاد التي لم تزل تئن تحت سلطة المتغلبين من الاتحاديين انفصالا تاما مطلقا بكل معاني الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة مداخلة اجنبية ولا تحكم خارجي.

كما دعا البيان الى ان الثورة العربية تمد يد التعاون الى كل المخالفين داعية اياهم الانضواء تحت راية الثورة، والعمل معا على السير نحو التقدم والرقي بهذه الامة، والدخول بها الى العصر الحديث ، حيث النهضة الصحيحة، باذلة كل ما في الجهد والطاقة، لاعزاز العلم وتعميمه بين الناس على اختلاف الطبقات ، وعلى حسب الحاجة والاستعداد.

ب- فلسفة الثورة العربية ومبادئها:

ومن خلال استعراضنا لأهم ما جاء في بيان الثورة العربية يمكننا تقرير ما يلي:

١- الثورة العربية هي ثورة الأمة العربية جمعاء، جاءت نتيجة معاناة امة رزحت تحت ظلم الحكم الاجنبي لقرون عديدة، فاذا كان العرب هم حملة لواء الاسلام، وهم ناشروه في ارجاء العالم، فقد جاءت الثورة ردة فعل للاعمال التي قام بها الاتحاديون والتي اساءت الى الاسلام وقيمه وتعاليمه السمحة، وتحريف كتاب الله

ونصوصه، فالعرب هم مادة الاسلام وهم المدافعون عنه وهم الذين عليهم ابقاؤه عظيما مستمرا.

٢- انطلقت الثورة العربية ضد الظلم والاستبداد والتهجير القسري الذي تعرض له العرب في اوطانهم، وصلب قادتهم والتنكيل بهم في الساحات العامة بدمشق وبيروت، ومحاولة اجهاض النهضة العربية التي تنادى بها احرار العرب ومفكروهم.

٣- كانت الثورة العربية ضد الجوع والخوف والخراب والتلاعب بمصائر العباد ومقدرات الأمة التي اتبعها الاتحاديون بصلف وقسوة وازهاقهم لارواح الابرياء وهتك اعراض حرائر وماجدات هذه الامة.

٤- الثورة العربية هي ردة فعل قومية في مواجهة العنصرية التركية التي عملت على طمس الهوية العربية واذابتها في أتون القومية التركية والغاء اللغة العربية الوعاء الفكري لهذه الامة ورمز حضارتها وتقدمها ومجدها.

٥- الثورة العربية هي دليل حيوية هذه الامة، فالامة التي تقبل التحدي امة حية قوية، فرغم الظروف الصعبة التي مرت بها الامة العربية منذ العصور الوسطى، الا ان هذه الامة ظلت حية معطاءة متجددة وهذا دليل على عظمة الامة العربية وقوتها واستمرارها.

٦- كانت الثورة العربية ثورة انسانية تدعو الى نبذ الحروب وقتل الشعوب المضطهدة، لذا لم تكن مع الحرب العالمية الاولى التي لم

تكن حربا عربية او عثمانية، بل كانت حربا اوروبية لا مصلحة للامتين فيها.

٧- كانت الثورة العربية ضد التدخل الاجنبي في مقدرات الدولة العثمانية وولايتها والتلاعب في مصائر شعوبها وثرواتهم.

٨- دعت الثورة العربية وطالبت بالمساواة بين المواطنين العرب دون تمييز في دين او اصل، فلم تكن مع اضطهاد اهل الذمة العرب، فتعاليم الاسلام تدعو الى المحبة والاخاء بين الاديان السماوية.

٩- لم تكن الثورة العربية ثورة طائفية، بل دعت وطالبت بمساواة شعوب الدولة العثمانية، فرفضت تعسف الاتحاديين ضد الارمن والاساءة اليهم وهذا نابع من قيم العروبة واخلاق الاسلام السمحة.

١٠- الثورة العربية كانت حقا طبيعيا للامة العربية للمطالبة باستقلالها وحريتها على ارضها العربية، ارض الاباء والاجداد.

١١- الثورة العربية ثورة عصرية، طالبت بدخول الامة العربية في نادي الدول المتقدمة وذلك عن طريق نشر العلم واللحاق بركب الحضارة والتكنولوجيا، للوصول بهذه الامة الى النهضة الصحيحة، داعية الى بذل الجهد في طلب العلم وتعميمه بين المواطنين العرب دون تمييز.

١٢- كانت الثورة العربية ثورة الانسان العربي ضد التخلف والتمزق والتشتت والانقسام والتشرذم لذا طالبت بوحدة الأمة العربية على

التراب العربي وبعروبة فلسطين، فرفضت الوصاية الاوروبية ، ووعد بلفور، والغدر الانجليزي والفرنسي، وتمزيق واستعمار الوطن العربي.

١٣- دعت الثورة العربية الى أن مقدرات الامة العربية الاقتصادية هي ملك لها، لذا رفضت نهب أموال هذه الامة، وطالبت بايجاد اقتصاد حر بعيدا عن النهب والاحتكار.

١٤- كانت الثورة العربية ثورة ديموقراطية اعترفت بالرأي الآخر، لذا طالبت باللقاء والالتقاء مع المخالفين لها، داعية اياهم الانضواء تحت راية هذه الثورة لما فيه خير هذه الامة ووحدتها واستقلالها وقوتها ومنعتها.

١٥- رفضت الثورة العربية التدخل الأجنبي في مصير هذه الأمة معلنة أنها لن تقبل أن يتحكم بها الأجنبي، بل على العرب أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم.

١٦- عملت الثورة العربية على تكوين جيش عربي خالص بقيادته وافراده، وهذا ما افتقده العرب منذ عصور طويلة، فقد ابعد العرب عن العسكرية منذ العصر السلجوقي.

١٧- دعت الثورة العربية الى نظام حكم عصري متقدم، فقد طالبت باستقلال الولايات العربية ووحدتها على أساس فدرالي ، وهو طرح متقدم يدل على بعد نظر قادة هذه الثورة.

١٨- كان منطلق نهوض الأمة العربية من مكة على يد النبي

الهاشمي محمد صلى الله عليه وسلّم، وكانت ثورة الأمة العربية ضد التمزّق والتخلّف في العصر الحديث من مكة أيضاً على يد الشريف الهاشمي الحسين بن علي.

١٩- كانت الثورة العربية ثورة القانون والنظام، فقد رفضت القوانين العرفية التي استنها الاتحاديون للتنكيل بقادة هذه الأمة وأحرارها وتشريدهم.

٢٠- لم تكن الثورة العربية ثورة طبقية، بل كانت ثورة لكل العرب بجميع فئاتهم وأجناسهم وعقائدهم.

وهكذا فإن الدارس المتقصي لفلسفة الثورة العربية ومبادئها، يرى أن الثورة العربية سبقت الثورة الشيوعية في روسيا، وامتازت عنها بأنها لم تكن ثورة دموية قامت بها طبقة العمال ضد طبقة الحكام والاقطاعيين من نفس الامة، فالثورة العربية كانت ثورة أمة ضد الاستبداد والظلم والتحكم الاجنبي بمقدراتها وكرامتها ومحاولة طمس هويتها. انها ثورة ضد العنصرية والتفرقة الطائفية، أنها ثورة قومية انسانية علمية حضارية ، ترنو الى الوحدة والاستقلال وأن تحكم نفسها بنفسها بعيداً عن التدخل الاستعماري في شؤونها، ثورة ضد التفريط بالأرض والتراب العربي ، ثورة ضد التخلف بجميع أشكاله. أفبعد هذا كله ألا ترى أن هذه المبادئ والأهداف هي مبادئ وأهداف سامية متقدمة متحضرة؟. ان فلسفة الثورة العربية ستبقى أبداً متقدة في ضمير انساننا العربي من المحيط إلى الخليج،

فنحن اليوم نسعى ونعمل على تحقيق بعض تلك المبادئ والأهداف.
ولا شك أن تلك المبادئ والأهداف هي أساس تقدم هذه الأمة، ومن
هنا فقد عملت بريطانيا وفرنسا على إجهاض هذه الثورة ووأد
طموحات هذه الأمة، وما زال الغرب يعمل جاهداً منذ القرون
الوسطى على تدمير وابطال تلك المبادئ والأهداف كي تبقى هذه
الأمة ممزقة متباعدة لأن أي تقارب واتحاد لهذه الأمة فيه خطر على
وجوده ومصالحه في وطننا الكبير، لذا فهو يسعى إلى إبقاء هذه
الأمة مفتتة متناحرة كي يسيطر على ثروات ومقدرات أمتنا ووطننا.

فالثورة العربية هي ثورة متجددة مستمرة باقية في ضمير كل
أحرار العرب جيلاً بعد جيل، ولا بد للغد المشرق أن يأتي ، ولا بد
لهذه الأمة من ان تصمد ، فلديها كل المقومات التي تجعلها قوة
عظيمة يحسب لها العالم كل حساب.

ومن هنا فكل الأحزاب القومية التي نشأت في الوطن العربي منذ
الأربعينات أخذت فكر الثورة العربية مبادىء لها، ودعت الى وحدة
الأمة واستقلالها وحريتها الا ان هذه الاحزاب لم تستطع تحقيق
أهدافها بسبب ظروفها التنظيمية الداخلية ومحاربتها من قوى محلية
واخرى أجنبية. ولكن الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية
ووريث هذه الثورة ومبادئها والذي تتلمذ على جده عبدالله بن
الحسين، وتشرب أفكاره وافكار مفجر الثورة الحسين بن علي، عمل
منذ تسلمه مقاليد الحكم في الأردن على نشر مبادئها السامية،

ونادى بها في كل محفل. واصبح الحسين مهندس الوفاق والاتفاق لزعماء هذه الأمة واقطارها. ورث وضوح الرؤية من أجداده، كان يرقب تطور الأحداث في العالم من حوله، ورأى بعينه الثاقبة ان ظهور النظام الأحادي في العالم المعاصر، وانهيار القوة السوفياتية تحتم عليه أن يحذر القادة العرب من المستقبل، وضرورة التكيف مع المتغيرات الدولية، وان عليهم التغيير، بأن يعطى الشعب حريته في ممارسة حقوقه كاملة فبدأ بنفسه فكانت الديموقراطية في الأردن ، والتعددية السياسية والنظام البرلماني الحر، ومركز دراسات الحرية والديموقراطية وحقوق الانسان. فالحسين والحالة هذه يعمل على أن يصبح الأردن البلد النموذج الذي يقتدى به العرب الآخرون وواحة الحرية والديموقراطية والتعددية السياسية وكل هذه الامور هي ترجمة حقيقية لفكر الثورة العربية ومبادئها وفلسفتها، فالذي حدث في الأردن منذ عام ١٩٨٩م هو ثورة سلمية حقيقية قادها الحسين الثاني كأنموذج لزعماء وقادة الأمة العربية، ودرس عليهم استيعابه، فالشعوب لن تسكت على ضيم أو استبداد.



خاتمة

فالشريف الهاشمي الحسين بن علي الذي قاد الثورة لم يكن رجلا عاديا بل كان بطلا قوميارأى بعينه الثاقبة تردي أحوال هذه الامة ، وان لا صلاح لها الا بالثورة. لقد كان بعيد النظر ، فالامة العربية عانت الكثير ولا انعتاق لها ولا تقدم لها الا بالثورة، فالثورات تخلق الامم وتجدد حيوية الشعوب، وهكذا فقد كانت الثورة العربية نقطة انطلاق هذه الامة نحو الأفضل. وما ترتب على هذه الثورة من نتائج لم يكن بمقدور قائدها ورجالها ان يفعلوا أكثر من ذلك لأن الدول الاستعمارية كانت الأقوى والأكثر تقدما. لقد قدم الشريف الحسين بن علي وأحرار العرب ورجال نهضتها ما استطاعوا ان يقوموا به، واشعلوا لهذه الامة مشعل الانعتاق والتحرر، واناروا لها سبيل التقدم والرقي والاعتزاز. فالحسين بن علي شخصية خالدة، ما كان بمقدور أحد أن يقوم بما قام به في ظروف صعبة كظروف الأمة العربية آنذاك، ولكنه ثار مع شح الموارد والامكانات ، فهو رمز للثوار العرب الاحرار في كل أرجاء الوطن العربي، عاش عزيزا كريما حرا أبيا ، وقضى ثائرا رافضا لكل المؤامرات الاستعمارية وخيانتهم له ولثورته ولأمته. خرج من مكة من الحرم المكي الشريف، ليرقد في جوار

المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف، كي يؤكد للعرب أجمعين بأنه آثر بأن يكون حارسا لهذا الحرم القدسي في مماته تماما كما دافع عنه وعن عروبته في حياته، وليعطي الأمة العربية واحرارها درسا في التمسك بالارض والمقدسات. فالقدس الشريف لها مكانتها الخاصة في فكر الحسين بن علي وانجاله واحفاده من بعده، لن يفرطوا بها أبدا وعليهم مسؤولية بقائها عربية خالصة.

لقد كان الحسين بن علي قائد هبة العرب الكبرى وعنوان نهضتهم وعلينا كمؤرخين أن نعطي هذا البطل حقه الذي لم يفرط بوطنه ومقدساته. فهو نموذج حي يجب أن تبقى ذكراه في أفئدتنا وعقولنا، وان نتدارس موقفه بعقلانية وتجرد، فالحسين والهاشميون جميعا كانوا ثوارا صادقين، وهو أمر تنفرد به أمتنا العربية بأن يكون ملوكنا ثوارا، فالحسين الأول وعلي وفيصل وعبدالله وطلال والحسين الثاني ثوار وقادة أفذاذ تتلمذوا على مبادئ الثائر الأول جدهم النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم.


الفصل الثاني
الغزو الأوروبي
والتجزئة القطرية
في
الوطن العربي


الفصل الثاني
الغزو الاوروبي
والتجزئة القطرية في
الوطن العربي

الصراع بين الشرق والغرب صراع قديم، يعود بجذوره التاريخية الى ما قبل الميلاد، وقد تطور هذا الصراع في الحقب التاريخية المختلفة وعلى مر العصور، ولكنه في غاياته واغراضه لم يخرج عن فكرة التوسع والسيطرة، والاستغلال، وظل هذا الصراع قائما حتى وقتنا الحاضر.

كانت السيادة في مكة قد استقرت منذ منتصف القرن الخامس الميلادي على يد قبيلة قريش، وعلى يدها نالت مكة كل هذا التقدم والمكانة في الجزيرة العربية، ونشأت فيها حياة اقتصادية منظمة عمادها القوافل، لنقل التجارة بين الشرق والغرب، وشارك اهل مكة جميعا في هذا التنظيم التجاري (الايلاف)، الذي مثل اتجاها (اشبه بالتنظيم النقابي) في العلاقات السياسية والاقتصادية بين عرب الشمال، والقبائل العربية الاخرى الواقعة على طرق التجارة المكية، مما ادى الى انطلاقة تجارة قريش العالمية في رحلتي الشتاء والصيف. وحقق المكيون لانفسهم ثروات كبيرة نسبيا ، كانت سببا في خلق كيان اقتصادي لمكة، اضف الى ذلك أن هذه الجماعة التجارية اتخذت لنفسها شكلا سياسيا خاصا،سماه بعض الباحثين

(الجمهورية التجارية) ، وآخرون يرون ان التسمية الاكثر دقة هي (حكومة الملأ)، أي حكومة النظراء. فقد الغيت الرئاسة العامة في مكة، وتوسع القوم في قاعدة الحكم، فانشئت من الوظائف الدينية والمدنية والحربية ما يكفي لان يوكل الى كل من البطون وظيفة، منها يشارك في حياة مكة، ويأخذ بنصيب من حكومتها.

وقد اتاحت الظروف الداخلية والخارجية لقريش أن تجمع في يدها التجارة الخارجية، وتقوم علي تنظيم واعداد القوافل التجارية بين الشمال والجنوب، واصبح القرشيون وسطاء التجارة الدولية، مستغلين فرص التصارع الدولي بين القوتين العظميين من حولهم (بيزنطة وفارس). كما استغلت بذكاء المركز الادبي والديني الذي حظيت به بين القبائل العربية، حيث كانت قوافلها تسير بامان بين هذه القبائل، لا يعتدى عليها احد، بعد ان قام القرشيون بربط هذه القبائل العربية الضاربة على جنبات طرق التجارة بالمشاركة او المحالفات والمعاهدات. وهكذا تميز القرشيون بالثروة، الى جانب الميزة الادبية والدينية مما ساعد على ان تنال احتراما عربيا ورئاسة عامة بين القبائل العربية، وهذا مما هيأها لان تصبح اهلا لنواة نهضة عربية شاملة.

وفي هذه الظروف المواتية من الناحية الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ظهرت النهضة العربية ممثلة بالاسلام على يد احد ابناء مكة ومن اشرافها (محمد بن عبدالله صلى الله عليه

وسلم)، وقد ظهر الاسلام في امة فتية مقبلة على الحياة، تتطلع الى غد مشرق ومستقبل امثل.

وحد النبي (صلى الله عليه وسلم) العرب في الجزيرة العربية بعد ان كانوا شيعا واحزابا وقبائل متصارعة متحاربة، واتخذ من المدينة المنورة بالحجاز عاصمة لدولته الناشئة. وكانت دولة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة فذة في تاريخ البشرية، فبالرغم من قيامها على اسس دينية، الا انها أقرت مبدأ حرية الاديان، ورعته وتعهدته. كما أقرت مبدأ تعريف فكرة الوطن والدولة في اوسع معانيها تسامحا وانسانية، وهو مبدأ يكفل المساواة في الحقوق والواجبات الوطنية بين افراد الدولة على اختلاف اجناسهم والوانهم ولغاتهم وعقائدهم.

وبعد ان اطمأن النبي (صلى الله عليه وسلم) الى ان الموقف السياسي في الجزيرة العربية، اصبح الى جانبه بقضائه على المعارضة الداخليةواصبحت الجزيرة العربية تدين بدين الله الجديد، اخذ يتطلع الى نشر هذا الدين خارج نطاق الجزيرة العربية، فأرسل رسله لملوك واباطرة العالم المحيط من حوله يدعوهم لرسالة الاسلام، ويطلب منهم ابلاغ هذه الرسالة لشعوبهم، ولما رفضوا دعوته وحالوا دون ايصالها الى شعوبهم، قرر النبي (صلى الله عليه وسلم) محاربتهم. فانفذ البعوث والسرايا والحملات الى بيزنطة وفارس، واكمل الخليفة ابو بكر الصديق هذا العمل الكبير فأرسل الجيوش

العربية الاسلامية المنظمة الى بلاد الشام والعراق.

وقد تمكنت قوات الفتح من تحقيق اهدافها على الجبهة الفارسية، وتعثرت خطة الفتح في الشام، فأمر الخليفة بأن تجمع تلك القوات بجيش واحد وقيادة موحدة، ثم ارسل الى العراق يأمرخالد بن الوليد بنصرة الجبهة الشامية، وقد حققت الجيوش العربية الاسلامية انتصارات هامة على الجبهتين الشامية والعراقية، ومهدت هذه الانتصارات لمعركتين فاصلتين (اليرموك، والقادسية)، فالاولى انهت الوجود البيزنطي من الشام، اما الثانية فقد قضت نهائيا على دولة فارس، وانفتحت امام القوات العربية الاسلامية بوابة الشرق لتصل الى الهند والصين، وبوابة الشمال الافريقي لتصل الى الاندلس وجنوب فرنسا.

وبعد ان استقر الحكم العربي الاسلامي في البلاد المفتوحة شرقا وغربا، بدأت تظهر حركات معادية للعروبة والاسلام معا. فقامت في العراق حركة عنصرية فارسية تحط من شأن العرب وتبخس دوهم التاريخي والحضاري، ثم اخذت تتعرض للاسلام نفسه الذي ازال وهدم عزتهم القومية، فعملت على تفتيته واضعافه من خلال (الفرق المغالية) التي كانت سببا في تمزيق الجماعة الاسلامية، وبذر بذور الفرقة والاقتتال بينهم، وذلك من منطلق نظرة الفرس الاستعلائية العنصرية واطماعهم التوسعية عبر التاريخ.

أما في الاندلس فقد ظهرت الحركات المعادية للعروبة والاسلام،

بشكل اكثر تنظيما، فقد اخذت الدويلات والكيانات النصرانية في شمال اسبانيا واوروبا على عاتقها هذه المهمة، ودعمت هذه الحركات بالقوة العسكرية. فاذا كانت الحركات المعادية للعرب في المشرق عنصرية استعلائية فان الحركات المعادية للعرب في الاندلس كانت مذهبية توسعية، باركتها البابوية في روما، فاقامت محاكم التفتيش لاجبار العرب والمسلمين على ترك عقيدتهم الاسلامية وانتمائهم العربي الاسلامي.

ولم تكتف القوى الاوروبية باسترداد الاندلس، بل اثارت الرأي العام الاوروبي بضرورة التوسع نحو الشرق مهد العروبة والاسلام، بحركة اطلقت عليها مصادرنا العربية (حركة الفرنجة)، اما المراجع الاستشراقية فنعتتها (بالحركة الصليبية). ويذكر الدكتور جوزيف نسيم ان هذه الحركة "كانت تهدف منذ البداية الى التوسع والاستعمار تحت قناع من الدعاية الدينية، وان غرضها الحقيقي هو الاستيلاء بالقوة المسلحة على فلسطين، وتأسيس مستعمرات لاتينية بها، ثم العمل على تعزيز هذه المستعمرات وتوسيع حدودها والمحافظة عليها بشتى الطرق والوسائل، حتى تكون رأس جسر لاهل الغرب اللاتيني يستخدمونه لتفتيت وحدة العالم العربي وكسر شوكته ضمانا لبقاء نفوذهم في المنطقة".

وتبقى القوى الاوروبية في تحد مستمر للعروبة والاسلام طيلة العصور الوسطى حتى بعد ان حررت (عكا) آخر جيوبهم

الاستيطانية في فلسطين على يد السلطان المملوكي الاشرف خليل سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وسيأخذ هذا التحدي بعدا آخر يتمثل في الاحتلال بالقوة العسكرية والسيطرة على كل مقدرات الوطن العربي، وثرواته الطبيعية والاقتصادية، ومحاولة طمس الهوية العربية، وافساد ثقافته العربية الاسلامية.

بدأ نشاط الاكتشافات الجغرافية الاوروبية منذ اوائل القرن الخامس عشر الميلادي، وتركزت بادىء ذي بدء على اكتشاف طريق جديد للوصول الهند، وكانت البرتغال سباقة في هذا المجال، فوجهت الحملات لاكتشاف الساحل الغربي لافريقية، وبدأها الامير هنري الملاح Henry the Navigator سنة ١٤١٨م، الى ان تمكن الملاح بارثلميو دياز Bartholomew Dias من الوصول الى اقصى الطرف الجنوبي للقارة الافريقية سنة ١٤٨٦م واكتشاف رأس الرجاء الصالح. وكان ذلك تمهيدا لرحلة فاسكو دي جاما Vasco de Gama الذي اكمل عملية الالتفاف حول افريقية والوصول الى ميناء (قاليقوط) الهندي سنة ١٤٨٩م.

لقد كان التنافس التجاري والاقتصادي في مقدمة الاسباب التي جعلت البرتغاليين يدقون ابواب الشرق ويصلون الى الهند، لوضع حد لاحتكار الدولة المملوكية للتجارة الشرقية وتحكمهم في فرض اسعارها التي كانت في ازدياد. فقد ظل المماليك وسطاء التجارة الدولية الشرقية طيلة قرنين ونصف تقريبا، وكان البحر الاحمر اهم

شريان تجاري لسلع الشرق، آخذين بعين الاعتبار ما للاسباب الدينية من دوافع هامة في الوصول الى الهند والسواحل الافريقية ووضع حد للنفوذ العربي الاسلامي في تلك الاصقاع.

ثم اخذ البرتغاليون يحاولون السيطرة على مدخليّ البحر الاحمر والخليج العربي بالاستيلاء على مضيق باب المندب ومضيق هرمز، ففي سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م استولوا على سبعة مراكب عربية قادمة من الهند. وازداد خطر الاسطول البرتغالي في البحر الاحمر فاجتازوا باب المندب صعدا نحو الشمال، وصاروا يعترضون المراكب التجارية العربية القادمة من الهند وعدن الى جدة والسواحل الحجازية، واصبحوا يشكلون خطورة على المقدسات الاسلامية في الحجاز. ثم ازدادت شوكة البرتغاليين سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، فاستولى قائدهم ترستان داكونها Tristan da Cunha على جزيرة سوقطرة، ثم ارسل قواته لاغلاق باب المندب تمهيدا للاستيلاء على عدن وجدة، اما مدينة هرموز فقد تمكنوا منها سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م وفرضوا على اهلها جزية سنوية مقدارها ١٥٠٠ دينار، وبذلك اصبحت تجارة وملاحة الخليج العربي تحت رحمتهم ومراقبتهم.

ورغم تصدي الدولة المملوكية للاساطيل البرتغالية في المحيط الهندي الا انها لم تكن قادرة على انهاء وجودهم في سواحل الهند، وكان لانتصار البرتغاليين في معركة ديو Diu البحرية سنة ٩١٤هـ/١٥٠٩م على الاسطول المملوكي اثر في ازدياد اطماعهم

للاستيلاء على عدن والبحر الاحمر. ففي سنة ٩١٨هـ/١٥١٣م غادر القائد البرتغالي دالبوكيرك ميناء (جوا) الهندي باسطول عدته عشرون قطعة بحرية للاستيلاء على عدن والبحرالاحمر والخليج العربي والاتصال بالحبشة لاقامة تحالف معهم ضد الدولة المملوكية، وهي استراتيجية قديمة استغلها الرومان والبيزنطيون ومن بعدهم الفرنج في فلسطين وذلك لجعل الحبشة قوة تهدد وتتدخل في شؤون البحر الاحمر والجنوب العربي والحجاز. وفي اوائل سنة ٩١٩هـ/١٥١٤م وصل الاسطول البرتغالي الى مدينة عدن ولكنهم لم يتمكنوا منها بسبب حصانتها، فتوجهوا الى البحر الاحمر فمروا بباب المندب وبعض الموانيء اليمنية، ثم واصلوا سيرهم الى جزيرة كمران فاستولوا عليها واقاموا فيها مدة ثلاثة اشهر ونصف، ثم اعادوا الكرة للاستيلاء على عدن ولكنهم فشلوا للمرة الثانية، ومع ذلك اصبح الاسطول البرتغالي يشكل تهديدا خطيرا لتلك المناطق.

أثار الوجود البرتغالي في البحر الاحمر والخليج العربي دهشة الدولة المملوكية، فحاولت قدر استطاعتها وضع حد لهذا الوجود، وعملت رغم ظروفها الصعبة داخليا وخلو خزينتها من الاموال، وافتقارها للمواد الاستراتيجية العسكرية من مدافع وبنادق وخشب وملح بارود على وقف هذا المد، ولم يقتصر عملها في الداخل فحسب، بل انها واكبت الاحداث والتطورات الدولية آنذاك، فارسلت السفارات الى تلك الدول معلمة اياها بالوجود البرتغالي في المحيط الهندي

والخليج العربي والبحر الاحمر. ونشطت الدبلوماسية المملوكية في هذا المجال، حتى ان السلطان قانصوه الغوري استقبل في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م اربع عشرة سفارة في شهر واحد، منها سفارة ملك فرنسا، وسفارة دوق البندقية.

ويجدر بنا الاشارة الى ملاحظتين، الاولى: ان الدولة المملوكية في غمرة مواجهتها للبرتغاليين في البحر الاحمر والمحيط الهندي كانت حدودها الشرقية تتعرض لتهديد من قبل الصفويين في ايران، والثانية: انه عند ظهور الخطر الفرنجي في البحر الاحمر والمحيط الهندي كانت الدولة العثمانية على علم بذلك، وكانت هي نفسها تحارب على الجبهة الاوروبية، لذا ارسلت سفراءَها الى المماليك من بينهم قائد عثماني كبير اسمه (كمال) كان من ابرز قوادهم في الحروب الاوروبية، قدم الى القاهرة سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م اثناء وجود الحملة المملوكية في البحر الاحمر. وأرى ان الدولة العثمانية بدأت تُحسِّن من علاقتها مع المماليك، خصوصا وان الوجود الاوروبي في المحيط الهندي والبحر الاحمر هو ردة فعل مذهبية توسعية اوروبية ضد السيطرة العربية الاسلامية على تجارة الشرق الاقصى، وضد الاجتياح العثماني لاوروبا.

ولكن الدولة العثمانية انتهزت فرصة انشغال المماليك في حروبهم ضد البرتغاليين ووجود اساطيلهم في مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي، فاجتاحت قواتهم شمال بلاد الشام، وانتصروا على المماليك

في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦ وقتلوا السلطان قانصوه الغوري، وانهوا الدولة المملوكية في مصر والشام. وكانت عودة الاسطول المملوكي من مهمته العسكرية في عدن الى جدة بعد معركة مرج دابق بشهر واحد.

أصبح العثمانيون في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشرالميلادي) سادة البلاد في مصر والشام، ناهيك عن تواجدهم على مسرح الاحداث الاوروبية واستيلائهم على اجزاء كبيرة منها. فالدولة العثمانية لم تكن في منأى عن العبث الاوروبي في مقدرات الشرق والساحل الافريقي، بل كانت على اطلاع تام بما يجري في المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج العربي، وكان هناك تبادل للمعلومات والسفارات بين الجانبين المملوكي والعثماني. مع الاخذ بعين الاعتبار ان الدولة العثمانية كانت اكثر تقدما في تقنية الصناعات العسكرية بحكم احتكاكها المباشر مع اوروبا في حروب طاحنة، بل كانت اكثر الماما في اسلوب الحروب الحديثة وادخال البنادق والمدافع الى قواتها العسكرية، بينما ظلت الدولة المملوكية تحتفظ بالاسلوب الكلاسيكي القائم على الفروسية، وهو أساس تركيبها وتنظيمها العسكري.

ولا شك ان الوجود العثماني في البحر الاحمر والمحيط الهندي أثار حفيظة القوات الاوروبية التي بدأت تتطلع بخوف وحذر الى القوة العثمانية التي ما فتئت منذ سنين طويلة تهاجمهم في عقر دارهم.

وها هي الآن تقف في وجه أطماعهم ومصالحهم في تجارة الشرق الاقصى، خصوصا بعد ان استولت على مصر والشام والحجاز والبحر الاحمر. وكان الصدام العسكري امرا محتما، ففي سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م وصل اسطول برتغالي بقيادة لوبو سواريز الى سواحل عدن ومن ثم اتجه الى جدة ولكن الاسطول العثماني صده وهزمه فعاد الاسطول البرتغالي الى الهند. ولكن البرتغاليين اعادوا الكرة مرة اخرى، فارسلوا اسطولهم سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م في عشرين قطعة بحرية و ١٨٠٠ مقاتل، فوصلوا سواحل جدة ولكنهم لم يجرؤوا على المواجهة فعادوا الى عدن ثم الى هرموز ومنها الى الهند.

وظلت الدولة العثمانية ترسل اساطيلها الى اليمن والمحيط الهندي لمحاربة البرتغاليين ولكنها لم تحقق شيئا، اذ ان الدولة العثمانية انشغلت في مستنقع الخلافات اليمنية الداخلية فاستنزفت قواها وابعدتها عن المهمة الرئيسة، وهي محاربة ومطاردة القوى الاوروبية وابعادها عن المحيط الهندي والسواحل الافريقية ومنطقة الخليج العربي.

وفي اوائل القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، ظهرت في مداخل البحر الاحمر لاول مرة المراكب الانجليزية والهولندية، ولكنها بقيت في (مخا) ولم تواصل سيرها نحو الشمال. وظلت مخا مستودعا للتجارة الاسيوية من حيث كونها اقصى نقطة يمكن للمراكب الاوروبية ارتيادها، وبذلك استمر الحظر المضروب على

ملاحة الدول الاوروبية في البحر الاحمر على حاله.

أدت الثورة الصناعية في اوروبا الي تطور كبير فيها، واصبحت الحاجة ماسة الي نقل الانتاج المتزايد الى اسواق الاستهلاك بأساليب نقل سريعة، خصوصا وان المراكب البخارية حلت محل المراكب الشراعية. وبدأ التنافس الاستعماري الاوروبي حول السيطرة على الطرق التجارية الهامة التي تربط الشرق بالغرب عبر منطقة الشرق الاوسط levant ، والمتمثلة بطريقين هامين هما :طريق البحر الاحمر ، وطريق الخليج العربي. وهنا يبدأ الاحتكاك المباشر بين القوى الاوروبية والدولة العثمانية، ومحاولة الاوروبيين السيطرة على املاك الدولة العثمانية في مصر وبلاد الشام، ويظهر التنافس كبيرا بين قوتين استعماريتين هما: بريطانيا وفرنسا، ومحاولة كل منهما السيطرة على مصر وبلاد الشام. فكانت حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م، ونجم عن ذلك الاحتلال تدخل الدول الاوروبية ووقوفها في وجه التوسع الفرنسي وتحالف السلطان سليم الثالث مع انجلترا وروسيا واعلانه الحرب علي فرنسا، وهكذا فشلت هذه الحملة في تحقيق اهدافها فرحلت عن مصر سنة ١٨٠١م.

ظل الصراع الدولي عنيفا بين انجلترا وفرنسا في الاستحواذ على طرق التجارة الدولية ، وكانت فرنسا الاكثر تصميما في السيطرة على طرق البحر المتوسط، فربطت موانئها بالموانىء السورية والمصرية، واستفادت من العلاقات الحميمة التي تربطها بمحمد علي

حاكم مصر، ففي سنة ١٨٣٥م انشأت اول خط بحري يربط مرسيليا بالاسكندرية. ولكي تحول بريطانيا دون تدخل فرنسا في طرق التجارة الدولية عبر البحر الاحمر قامت في سنة ١٨٣٩م باحتلال عدن، وجعلت منها اكبر محطة لتزويد البواخر بالفحم، وانشأت خطا ملاحيا بين مالطة والاسكندرية، وآخر يربط ميناء بورت سموث بالاسكندرية وخطا يربط بومباي بالسويس. وعملت فرنسا على شق قناة تربط البحر الاحمر بالبحر المتوسط وتم ذلك سنة ١٨٦٩م وكان لافتتاح قناة السويس اثر في ان توجه بريطانيا انظارها للسيطرة الفعلية على هذا الشريان الدولي الهام، فاحتلت قبرص سنة ١٨٧٨م لتكون قريبة من مصر والقناة، واخيرا احتلت مصر نفسها سنة ١٨٨٢م، وبذا اصبحت قناة السويس في قبضتهم وطريق البحر الاحمر تحت هيمنتهم وسطوتهم، ولاول مرة في التاريخ يصبح البحر الاحمر بحيرة غير عربية اسلامية.

اذن فالاحتكاك المباشر بين المشرق العربي واوروبا بدأ قديما ، واخذ ابعادا مختلفة، احتكاك عسكري واقتصادي وثقافي، ولكن التحدي الاكبر في العصر الحديث بدأ في اواخر القرن التاسع عشر. فالمشرق العربي كان حتى ذلك الوقت يعيش في شبه اغفاءة بعد ان استولى عليه العثمانيون منذ اوائل القرن السادس عشر، كان قانعا باحواله، مستكينا لظروفه القاسية، جاهلا بكل ما يجري حوله من ظروف دولية واطماع استعمارية. ثم جاءه الغرب الاوروبي فاتحا،

وجاءت معه حضارته وعلومه ومبشروه، وقيمه الاخلاقية، وسلعه، واستعباده السياسي والاقتصادي والعسكري، وكان لهذا الهجوم الاوروبي، بمختلف اشكاله والوانه، اقوى تحد للعرب واعظم خطر جابهوه منذ الحروب الفرنجية في العصور الوسطى. وكان احتكاك العرب باوروبا هذا الاحتكاك الذي كان سلميا حينا، عسكريا دمويا في حيث أخر، هو الحافز الاول الذي دفع العرب الى اعادة النظر في الاسس التي يقوم عليها كيانهم: الروحي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والثقافي، والتفكير في شؤونهم ، والقلق على مستقبلهم، بعد ان عجزت الدولة العثمانية عن حمايتهم واجراء الاصلاحات في بلادهم، ومنحهم الحرية، وتغيير نظام الحكم الاستبدادي العنصري الذي اكتووا بناره، ونشر الثقافة في ربوع اوطانهم ليستطيعوا مسايرة التقدم الحضاري والثقافي والعلمي في العالم من حولهم.

ومن الملاحظ ان القوى الاوروبية جعلت مصر وبلاد الشام هدفها الاول سواء أكان ذلك في العصور الوسطى ام في العصر الحديث، ففي العصور الوسطى قامت باحتلال بلاد الشام مباشرة بحملاتها الفرنجية، بينما نجدها في العصر الحديث تحاول السيطرة على جنوب الجزيرة العربية والهيمنة على خطوط المواصلات والاتصالات عبر المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج العربي، وصولا الى خطوط المواصلات عبر مصر وبلاد الشام ومن ثم الاحتلال المباشر بالقوة العسكرية. وكانت استراتيجية الغرب الاوروبي في الحالتين

التوسع الاستعماري وضرب العروبة والاسلام وتفتيت وتمزيق هذه المنطقة بشتى الطرق والاساليب، وهذا التحدي كان وما زال حتى وقتنا الحاضر، والعرب لا يزالون يتلمسون الطريق للوصول الى الاستجابة الصحيحة لهذا التحدي.

قامت في اواخر القرن التاسع عشر في المشرق العربي نهضة عملية وثقافية بسبب الاخذ بوسائل التعليم الحديثة، وانشاء المطابع والمعاهد العلمية، وارسال البعوث الى اوروبا والاخذ بالثقافة الغربية، وظهرت طبقة من الكتاب والمفكرين العرب تدعو الى الاصلاح. وقامت الجمعيات الادبية والعلمية في الشام والعراق تنور الاذهان وتعمل على احياء التراث العربي ورفع شأن اللغة العربية، والمطالبة بالاستقلال والحكم الذاتي. كما نشأت حركات وجمعيات سرية تدعو الى الوقوف في وجه سلبيات جمعية الاتحاد والترقي العثمانية التي سيطرت على الحكم في استانبول، وتطالب بالاصلاحات الادارية والاقتصادية والثقافية السياسية، داخل الولايات العربية. ولا ننسى ما كان للضباط العرب في الجيش العثماني من دور كبير في المطالبة باستقلال البلاد العربية ضمن الدولة العثمانية، ومطالبتها بحل المشاكل العربية التركية على اساس فيدرالي، وهي محاولة لتجديد الامبراطورية العثمانية على اسس عصرية متقدمة.

الا ان الاحداث تتطور بسرعة ، وتزداد هوة الخلاف بين الاتحاديين والزعماء العرب، فقد كان من اهم اهداف الاتحاديين

صهر الاجناس المختلفة في الدولة العثمانية في ظل حكم شعبي عثماني واحد، تكون اللغة التركية هي اللغة الرسمية في الدولة، ولغة التعليم في المدارس والمعاهد الحكومية. ثم اخذ الاتحاديون في اقصاء العناصر الاخرى عن الحكم واضطهدوهم، واخذت صحفهم تذم العرب والاسلام وتذكر نقائصهم، وهكذا بدأ تحدي قومي: بين القومية التركية الطورانية والقومية العربية فبعد ان وضح لزعماء العرب مدنيين وعسكريين استحالة ردع الاتحاديين عن تصرفاتهم، ثم اشتطاطهم في مطاردة هؤلاء الزعماء وشنق العديد منهم، وعدم رغبتهم في التعاون الصادق مع الزعامات العربية، وتحدي مشاعرهم القومية والحضارية، واطلاعهم على ما يدور في العالم من حولهم، وظهور مبدأ القوميات الذي اخذت به الشعوب الاوروبية واتحدت بموجبه ايطاليا والمانيا. عندئذ بدأوا يتطلعون الى قيام النهضة العربية وتوحيد اقطار الامة العربية ضن دولة مستقلة واحدة بعيدا عن التسلط الجنسي الواحد الذي اصبحوا يكتوون بناره.

ازاء ذلك عمدت بريطانيا الى التقرب من العرب، ومحاولة الاستفادة من الصراع العنصري بين العرب والترك، فكانت اتصالات اللورد كيتشنر القنصل العام البريطاني في مصر مع الامير عبدالله، واتصالات حسين مكماهون، والتي وعدت بريطانيا بموجبها الشريف حسين وزعماء العرب ضمان استقلال المشرق العربي ضمن دولة واحدة وضّحت حدودها في تلك الرسائل. وعلى هذا الاساس وافق

زعماء واحرار الشام والعراق على دخول الحرب العالمية الاولى مع الحلفاء، والثورة على الدولة العثمانية، وطلبوا من الشريف حسين قيادة ثورتهم فقبلها بعد تردد.

ومهما قيل عن الثورة العربية الكبرى واهدافها ودوافعها، فالذي أود ان أؤكده ان الثورة العربية كانت ضرورة ملحة للامة العربية بسبب تلك الظروف التي مرت بها. وكان لا بد لهذ الثورة من دعم خارجي ليمدها بالسلاح والمال، فكانت بريطانيا وفرنسا مستعدة لذلك، ولم يعرف العرب ان الدافع الحقيقي لكل من بريطانيا وفرنسا هو تمزيق المشرق العربي واستعماره، وافشال كل اماني الامة العربية في الوحدة والحرية والاستقلال. فبينما كان العرب يقدمون مساعداتهم للحلفاء عقدت بريطانيا وفرنسا معاهدة سايكس-بيكو سنة ١٩١٦م اقتسما بموجبها اقطار المشرق العربي ولم تكتف بريطانيا بذلك بل عمدت الى اعطاء وعد بلفور لليهود سنة ١٩١٧م، وعدت بموجبه قيام دولة يهودية لهم في فلسطين. ثم بدأت بريطانيا وفرنسا تحيك المؤامرات ضد الثورة العربية ورجالاتها، لاستعمار بلاد الشام والعراق وتقسيمه وتجزئته، وبدأت تكرس وجودها بالقوة العسكرية المسلحة. ولم تف بريطانيا وفرنسا بتحقيق ما وعدتا به الشريف حسين ورجالات الثورة العربية، من وعود بالاستقلال والمساعدة في اقامة الدولة العربية المستقلة المتحدة. وانصرف هم بريطانيا وفرنسا الى تنفيذ اتفاقية سايكس - بيكو وتحقيق وعد

بلفور للصهيونية، وكانت بريطانيا تطمع بنفط الموصل والتفرد بالانتداب على فلسطين وكان لها ذلك. اما فرنسا فكانت تطمع باحتلال سورية الداخلية وتم ذلك بعد مؤتمر سان ريموعام ١٩٢٠م وهكذا عملت القوى الاوروبية على ضرب اماني الامة العربية في الوحدة والحرية والاستقلال. لقد تخلص المشرق العربي من حكم العثمانيين ليرزح من جديد تحت حكم استعماري اوروبي بغيض بدأ ينفث سمومه في كل مناحي الحياة العربية، الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية.

عملت بريطانيا على انشاء كيانات اقليمية في المشرق العربي، وفرطت باجزاء منه لدول مجاورة على حساب الارض العربيية، وفتحت باب الهجرة اليهودية الى فلسطين تمهيدا لانشاء كيان غريب في قلب الامة العربية وكانت فترة ما بين الحربين العالميتين فترة صراع مكشوف بين الشعوب العربية في المشرق العربي وبين بريطانيا وفرنسا، حتى نالت هذه الدول استقلالها. وبدلا من ان تتجه هذه الدول الى الوحدة، نشطت السياسة الغربية تكرس الاقليمية، وتعرقل كل تقارب بينها، وتنفث سموم التفرقة والتجزئة فيها وهذه سياسة اتبعتها القوى الاوروبيية منذ العصور الوسطى، فقد كانت استراتيجية الفرنج آنذاك تقوم على ابقاء الوطن العربي مفككا مجزءا متباعدا، لان فيه بقاؤهم ووجودهم، حتى انهم اقاموا المعاهدات مع بعض الاقليات المذهبية في بلاد الشام، حتى اصبحوا حلفاءهم

التقليديين ضد القوى الاخرى المناهضة للوجود الفرنجي في الديار الشامية. وهكذا ظلت هذه الاستراتيجية الاوروبية مطبقة في الوطن العربي في العصر الحديث ، فجزأت البلاد اقليميا، وعملت على تفريق سكانها شيعا واحزابا متباغضة، متحاسدة، متعادية.

بالاضافة الى بذر بذور العداوة بين الاسر الحاكمة، واثارة القبائل العربية بعضها على بعض. ثم اقامت عام ١٩٤٨م دولة اسرائيل في فلسطين، دولة عنصرية معادية للعرب لتمزق وحدة العرب الجغرافية والجنسية، وتباعد بين اقطاره، وتكون معول هدم في الكيان العربي، تهدد تطوره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، ولتصبح قاعدة متقدمة لامريكا واوروبا في قلب الوطن العربي ترعى مصالحهم الاستعمارية التوسعية.

وعلينا ان لا ننسى أننا قد ساهمنا بقصد او دون قصد في تحقيق سياسة القوى الاوروبية في وطننا العربي فنظام الحكم العربي الذي قام آنذاك، وان تنوعت مظاهره، واتخذ في احيان اشكالا عصرية تقدمية، كان نظاما قبليا في جوهره. فالدولة كانت تدور حول شخص الحاكم ومن يلتف حوله، وكان الشعب باغلبيته يسير وراء هؤلاء الحكام، مسلوب الارداة، مغمض العينين، لا هدف له. ولم تكتف هذه الاسر الحاكمة في ابعاد شعوبها عن المشاركة الفعالة في الحياة السياسية المحلية العربية، بل عملت على تمزيق وتفتيت الجبهة العربية بما انغمست فيه من منازعات شخصية انعكست على شعوبهم

نفسها، وأدت هذه السياسة الى ان طبعت علاقات الدول العربية بطابع الشك والريبة وعدم الثقة، وهي آفة ما زلنا نعاني منها حتى وقتنا الحاضر.

أضف الى ذلك ان فئة من مواطنينا أيدت قيام الاقليات الدينية والقومية، تلك الاقليات التي كانت تعيش في البلاد العربية منذ اقدم العصور، وقد تأثرت هذه الاقليات بالثقافة العربية، واصبحت عربية الثقافة كما تأثرت هذه الاقليات بالاسلام من الناحية الاخلاقية والسلوكية، فأصبح ابناؤها لا يختلفون في سلوكهم وعاداتهم واخلاقهم عن المسلمين المحيطين بهم والمخالطين لهم. وقد أثارت هذه الاقليات القومية والدينية انتباه القوى الاوروبية، فبدأت تثير فيهم روح التعصب العنصري والديني، وتعلن نفسها مدافعة عن حقوقهم ومصالحهم، وتعمل على منحهم بعض الامتيازات ، فرحبت تلك الاقليات بذلك،فقوي مركزهم، وزاد ذلك من استقلالهم الذاتي، مما جلب لهم نظرة الشك والريبة من اخوانهم في العروبة الذين شاركوهم لقمة العيش والوطن منذ اجيال عديدة. وقد كان لبريطانيا وفرنسا دور كبير في تقوية الروح الطائفية ودعم الانشقاقات الدينية، واكدت ذلك قانونيا من خلال عصبة الامم ومن ثم اصبح يمارس على ارض الواقع العربي، ولبنان خير مثال لذلك. ولو لم تجد هذه البدعة تأييدا من بعض المنتفعين ممن ينتسبون لهذه الاقليات لما نجحت، وها هي امتنا العربية ما زالت تكتوي بنار هذه التعددية الطائفية حتى وقتنا

الحاضر.

ويجب ان لا يخفى عن بالنا بأن فئة عربية وسمت نفسها بالفئة المتنورة، ساهمت مساهمة كبيرة في تحقيق اهداف القوى الاوروبية، وحققت حلمها الذي سعت اليه دوما وهو تفتيت الامة العربية وابقائها ممزقة متفرقة، من خلال تكريس الاقليمية الضيقة. فقد عملت هذه الفئة على تعميق المفهوم الاقليمي لدى شعوب الاقطار العربية، بحيث ان سكان كل قطر يشعرون بأن القطر الذي يسكنونه هو وطنهم الوحيد، الذي يجب ان يعتزوا به، ويحافظوا على استقلاله وسلامته. وان سكان البلاد العربية الاخرى، وان كانوا عربا مثلهم، بعيدون عنهم فلا ضرورة للاتحاد معهم، او ان هذه الفكرة لم تجلب انتباههم ، او تصبح موضوعا اساسيا لتفكيرهم. وهكذا فان التطور الواقعي للاقطار العربية، كان يسير باتجاه توطيد الكيانات القطرية، لا تصفيتها من خلال توحيدها، وكان (لهذه الفئة العربية) دور كبير في تكريس هذا المفهوم الاقليمي الضيق، تلك الفئة التي قامت ونشأت بمباركة من القوى الاوروبية.

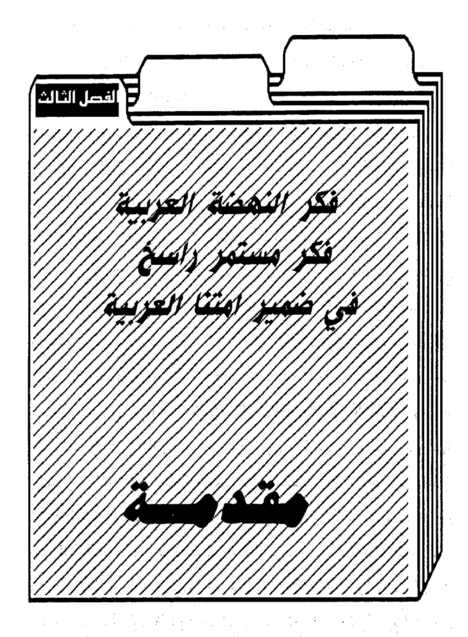
ولم تخرج (الفئة العربية الجديدة هذه) عن كونها رد فعل على اليقظة الاسلامية، والخوف من بعث اسلامي جديد، وعلى الحركات القومية التي قامت في الوطن العربي منذ اربعينات هذا القرن، التي اعتبرتها تلك الفئة العربية مرادفة للاسلام، او قناعا يختفي تحته الاسلام. ولم تأت هذه اليقظة الاسلامية عفوا، بل كانت نتيجة لتحدي

الدول الاوروبيــة للعـرب والمسلمين، بعـد ان خـانت تلك الدول الامـة العربية ونكثت بكل العهود والمواثيق الدولية، فاستعمرت البلاد العربية اقتصـاديا وسـياسـيا فكان رد الفعل ان اتجه المثقفون العرب في المشرق العربي، وبينهم عدد من المسيحيين اتجاها قومـيا عربيا، فـعملوا على احيـاء التراث الفكري العربي ونشـر اللغـة العربيـة وآدابها، ونادوا بوحدة الامة العـربية، ومحـاربة الاستـعمـار وتحـرير الارض العربية من الامبريالية الغربية والصهيونية التوسعية، وطالبوا بالحرية والوحدة والحياة الفضلى. ولكن هذا الفكر العربي الاسلامي لم يلق تجاوبا من بعض فئات المثقفين العرب الذين كانوا يشكون في مقدرة القومـية العربية على الاستقلال عن الدين، اما لعصبية دينية، او لمخاوف مـصطنعة او متوهمة. وقد اتخذت حركات هذه الفئات من المثـقفين العـرب مظاهر شـتى فكرية وسـياسـية ففـي مصـر ظهـرت الحركة الفرعونية، وفي لبنان ظهرت الحركة الفينيقية، وحركة القومية الاجتماعية السورية، وحركة ثقافة البحر المتوسط. وقد عملت القوى الاوروبية على تقوية هذه الحركـات وتغذيتهـا بشكل مباشـر او غير مباشر، وذلك بواسطة مدارسها المنتشرة في البلاد العربيية، وخاصة في لبـنان، وبواسطة الصـحف والمجلات التـابعـة اليـهـا، وعن طريق بعض المستشرقين والمفكرين الغربيين، وصنائعهم من المثقفين العرب، الذين نعتناهم بالفئة العربية الجديدة. ولكن هذه الحركات فشلت في تحـقيق اهدافـهـا في خلق قـومـية فينيـقية، واخـرى سـورية، وثالثة

فرعونية، فالامة العربية من الخليج الى المحيط امة واحدة ذات تاريخ مشترك واحد ولغة واحدة، وثقافة واحدة، ويدين معظمها بعقيدة واحدة هي الاسلام. وأي خطر يهدد جزءا منه يهدد بقية اجزائه، فعندما هددت القوى الاوروبية ارض فلسطين والساحل الشامي في العصور الوسطى، لم تسلم من هذا الخطر مصر وجنوب الجزيرة العربية، فقد وجهت حملات فرنجية الى تلك الاجزاء. وعندما بدأ الخطر الاوروبي التوسعي الاستعماري يهدد جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي في العصر الحديث، كان هدفهم الوصول الى مصر وبلاد الشام للسيطرة على طرق الاتصالات والمواصلات الدولية عبرها، واستخدام موانئها لنقل سلعها وتجارتها واساطيلها. ولما حيكت المؤامرات الاوروبية لاقتسام مصر وبلاد الشام والعراق، استهدفتها جميعا فطعنت ثورة الامة العربية وخانتها، وعندما زرع الاوروبيون اسرائيل في قلب الوطن العربي، كان هدفهم ان تكون هذه الدولة نقطة متقدمة لتهدد الامن القومي العربي من الخليج الى المحيط، وخصوصا الممرات البحرية الدولية، ومصادر النفط والطاقة في الوطن العربي واستنزاف مواردها المالية والبشرية. وعندما خرج الاستعمار المباشر من اقطار الوطن العربي بذر بذور التفرقة بين ابناء الوطن الواحد، بخلق صراعات محلية، طائفية، وقومية، واقليمية، كي يبقى الوطن العربي ممزقا مشتتا، لان استراتيجية الغرب الاوروبي تقوم على ابقاء الوطن العربي مجزءا مفتتا ممزقا متباعدا متباغضا.

واخيرا فاذا استقرأنا أحداث التاريخ، نجد اننا تغلبنا على الغزو الاوروبي الفرنجي في العصور الوسطى بالوحدة، فكانت وحدة صلاح الدين التي ضمت مصر وبلاد الشام والعراق واليمن والحجاز، فبهذه الوحدة انتصرنا، فلم لا نتمثل احداث التاريخ ؟؟. ولم لا نقيم جسور الثقة والتواصل بين الانظمة العربية؟، ولم لا ننظر للعالم من حولنا وخصوصا التجمعات الدولية واوروبا الغربية خير مثال على ذلك؟ ولم لا نعيد لهذه الامة عزتها وكرامتها بوحدتها، واعطاء الانسان العربي حريته وكرامته؟ ولم لا نقيم نظاما عربيا ديمقراطيا متقدما متطورا؟ فان لم نفعل ذلك، فنظامنا العربي مهدد من اساسه ، ووجودنا في خطر، وهذا ما تعمل من اجله القوى الاوروبية والصهيونية الدولية. ان رياح التغيير تهب على العالم، ولن تسلم منطقتنا العربية منه، فلنبدأ بالتغيير بما يتلاءم وعقيدتنا وقيمنا وتراثنا الحضاري ومصلحتنا القومية ، ولتكن التجمعات التي قامت اخيرا في الوطن العربي: كمجلس التعاون العربي ، ومجلس التعاون الخليجي ، واتحاد دول المغرب العربي، نواة وحدة الامة العربية المنشودة.


الفصل الثالث
فكر النهضة العربية
فكر مستمر راسخ
في ضمير أمتنا العربية


الفصل الثالث
فكر النهضة العربية
فكر مستمر راسخ
في ضمير امتنا العربية
مقدمة

مقدمـــــة:

تساءل المفكرون والكتاب العرب منذ نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين عن مقومات هذه الأمة، وهل العرب أمة واحدة، وهل البقعة الجغرافية التي يعيشون فيها هي وطن لهذه الأمة، وهل هذا الكم الهائل من المواطنين العرب ينتمون لأمة واحدة. وهل هناك فكر قومي وقومية عربية، وهل هناك شخصية عربية وهوية عربية وانتماء قومي عربي؟؟؟ قضايا وتساؤلات طرحها كتابنا ومفكرونا وأشغلوا أنفسهم لسنوات عديدة لايجاد فلسفة مشتركة وفهم مشترك لمثل هذه المفاهيم، علما بأن دارس التاريخ العربي الاسلامي، لا يجد عناء في أن مثل هذه القضايا والمفاهيم انما هي بدهيات ومسلمات، لا حاجة لأن نشغل أنفسنا في البحث فيها، كي نجد البرهان على أننا أمة واحدة، وان هذا الوطن الكبير هو وطننا من خليجه الى محيطه. الا أن مثل هذه الدراسات كانت ضرورية، وذلك بسبب الغربة التي ألمت بالأمة العربية وانتمائها القومي وولائها الوطني، والذي كان نتيجة حكم تركي مستبد جائر، باعد بين اقطار الامة العربية وشعوبها، ورسخ التأخر والجهل والانحطاط، حتى لم يكن الناس يعرفون هل هم من امة العرب او من اي امة هم؟؟ لقد نسوا اصولهم، وتاريخهم، وانتسابهم لهذه الأمة العظيمة ولهذا الوطن الكبير. حكم أجنبي ظالم ابعد العرب عن السلطة منذ أواسط القرن

الحادي عشر حتى اواسط القرن التاسع عشر الميلادي، بالاضافة الى حروب التتار والفرنجة، والكوارث الطبيعية من زلازل وأوبئة وطواعين ونظام الاقطاع الحربي الذي سلب الفلاحين حريتهم وجعلهم عبيدا وأقنانا للأرض، والى ظلم اجتماعي رهيب، ادت كلها مجتمعة الى تدني الكثافة السكانية للمواطنين، فانعكس ذلك على العطاء الحضاري والثقافي للأمة العربية، بالاضافة الى التحدي القومي الذي واجهه العرب من القومية الطورانية، ومحاولة تتريك الامة العربية وطمس لغتها وثقافتها القومية ففقد الانسان العربي هويته وانتماءه، لا بل أصبح يشكك بأصوله، وفقدت الشخصية العربية عاطفتها القومية، وولاءها القومي والوطني. ومن هنا كان لابد من فكر منظم يوحد هذه الأمة ويشحن هممها لتعود الى عطائها العلمي والثقافي والحضاري، ولتساهم في المسيرة الانسانية تماما كما ساهمت في تاريخها الوسيط.

ونتيجة لكل الظروف المأساوية التي مرت بها الأمة العربية لقرون عديدة، كان لابد من نهضة لهذه الأمة، فعمل رجال الحركة العربية على اشعال فتيل هذه النهضة، فنظموا أنفسهم واختاروا قيادتهم، ولم يكن بالامكان تحقيق هذه النهضة الا بالثورة، فكانت الثورة العربية بقيادة شريف مكة الحسين بن علي. الا ان بريطانيا وفرنسا والصهيونية تآمروا على هذه النهضة، فلم تحقق اهدافها السامية في الوحدة والحرية، والاستقلال ، والحياة الفضلى.

ثم عملت القوى الاستعمارية الغربية على انشاء الكيانات العربية وتقسيمها اقليميا، واعطت وعد بلفور للصهيونية العالمية، وغرست فيما بعد اسرائيل في قلب هذه الامة العربية، كجسم غريب وجرح دامٍ، ظل ينزف فينا تفتتا وتمزقا، واستلابا لمواردنا الطبيعية، منذ أوائل هذا القرن حتى الوقت الحاضر. وبسبب هذه التجزئة القطرية، نشأت اجيال في تلك الاقطار، قبلت بالحدود المصطنعة على انها طبيعية. وبدأ تكريس من قبل تلك الأنظمة للقطرية الضيقة في التعليم والاعلام والثقافة. وقد ساهمت الحدود واغلاقها في نمو هذا الشعور الاقليمي، بالاضافة الى المكتسبات الاقتصادية والمادية في دول او دويلات غنية، بحيث اصبح الفرد منهم يشعر بغربة عن امته العربية وولائه القومي.

وفي خضم هذا الواقع لأمتنا العربية، ظلت هناك بؤر نهضوية وفكرية تسير بخطى ثابتة وقوية وعناد وتحدي في عواصم عربية عديدة، تدعو الى مشروع نهضوي عربي بخطاب جديد، واعادة بناء فكر النهضة العربية، ولكي نفهم هذا المشروع النهضوي لابد من العودة الى بيان النهضة العربية الذي انطلق من مكة المكرمة على يد الشريف الحسين بن علي في ١٠ حزيزان ١٩١٦م ، ومحاولة دراسته دراسة تحليلية موضوعية. (انظر الصفحات من ٣٩-٤٩).

ماذا حقق المشروع النهضوي العربي؟

لقد تعرض المشروع النهضوي الحديث الى التجريح، ولم يسلم قادته من الاتهامات الظالمة، فكل تقصير حدث ويحدث علقه بعض الكتاب على مشجب هذه النهضة وثورتها وقادتها، متناسين ظروف الزمان والمكان، وان أمة تثور وتنهض في مثل هذه الظروف المأساوية لا شك انها أمة حية، بانسانها وقيمها الروحية الأصيلة. وأود أن أذكر هنا بأن علينا أن نكون عادلين فهذا المشروع النهضوي قد حقق الكثير للأمة العربية نذكر من هذا الكثير ما يلي:-

- انشاء أول جيش عربي موحد منذ قرون عديدة، وقد كان ذلك بمثابة عصر تاريخي جديد في الحياة العربية في المشرق العربي بعدما أبعد العرب عن العسكرية منذ العصر السلجوقي.
- تأسست في الحجاز دولة عربية خالصة بقيادتها وادارتها ورجالها هي (المملكة الهاشمية الحجازية)، بقيادة الشريف حسين بن علي، ولم يكن للعرب دولة مستقلة منذ العصور الوسطى.
- قامت في بلاد الشام (الحكومة العربية الفيصلية) بقيادة الأمير فيصل بن الحسين، بعد أن دخلتها القوات العسكرية العربية عام ١٩١٨، وهي أول حكومة عربيةخالصة تقام في بلاد الشام منذ مئات السنين.
- يعد هذا المشروع النهضوي أعظم انجاز وأضخم جهد عربي حققه العرب منذ العصور الوسطى، فقد اعتبر العرب أن هذا المشروع

انما هو مطلب شعبي وقومي أراده الانسان العربي من اجل تحرره واستقلاله ولكي يحكم نفسه بنفسه على أرضه العربية.

- كان هذا المشروع النهضوي أول مشاركة شعبية باجماع عربي في عصرنا الحديث فقد شارك فيه ضباط وأحرار العرب من بلاد الشام والحجاز والعراق، والقبائل العربية من الحجاز وبلاد الشام، وأحرار من مصر واليمن والجزائر.
- طبع هذا المشروع النهضوي العربي بالطابع القومي، وذلك باشتراك المدنيين والعسكريين العرب الذين جمعتهم الرابطة القومية العربية، والولاء لتلك القيادة التاريخية الهاشمية ذات الانتماء العربي الأصيل.
- كانت النهضة العربية نهاية عصر عثماني قديم متخلف، وبداية تاريخ عربي حديث، نتج عنه تكوينات سياسية، ودول اقليمية، وايديولوجيات، واخلاق، ومبادىء ومواثيق، وافكار وانجازات، واحتكاك مباشر بالعالم الخارجي، وبالعلم الحديث، والتطور الصناعي والتقني، وزيادة في الموارد الاقتصادية والمالية، وتوسع في القاعدة العلمية، وتحضر ومدنية، وعمران، واعلام، وانتشار للثقافة والكتاب. لقد دخل العرب العصر الحديث بثورته العلمية ولم يقفوا متفرجين، بل أخذوا ما يستطيعون الحصول عليه. ولم يكن الآباء والبناة الأوائل الذين فجروا وضحوا من أجل هذه النهضة يدركون هذا المدى الذي سنصل اليه.

– لقد فجرت النهضة العربية الفكر القومي الحديث، وجعلت العرب يطلون على القرن العشرين بثقة وعلمية، رغم التمزق الذي أصابهم. كانت النهضة العربية اطلالة للتقدم العربي، وظهور الشخصية العربية، والهوية العربية، التي كادت تطمس وتتهاوى.

– بقي المشروع النهضوي الحديث متفاعلا في ضمير الانسان العربي، ظل مستمرا متجددا بصور وأشكال مختلفة. فما الثورات العربية التي قامت في الوطن العربي في الخمسينات والستينات، والمشاريع الوحدوية التي ظهرت رغم عدم نجاحها، الا استمرار وتجديد للفكر النهضوي، ولمشروع الأمة العربية في الوحدة والحرية والاستقلال والحياة الفضلى. وما الايديولوجيات الحزبية التي نشأت في الوطن العربي، وفي مشرقه بالذات منذ الأربعينات الا ترجمة فعلية وحقيقية لفكر النهضة العربية ومشروعها النهضوي.

– لقد ظل الأردن حتى الوقت الحاضر القطر العربي الوحيد الذي يحكم من أبناء وأحفاد قادة النهضة العربية، فالاردن هو وريث مبادىء النهضة العربية والمشروع النهضوي المعاصر، لذا نلمس أن مباديء النهضة العربية حية متقدة متجددة في فكر الأردنيين ، وهم المبشرون بها، العاملون على تحقيقها بكل السبل والوسائل المتاحة.

الأسس الأخلاقية لهذه النهضة:

ثم لابد لنا من توضيح حقيقة هامة وهي أن النهضة العربية الحديثة لم تتخلَّ عن الاسلام، فقد دعت العرب الى النهوض والوحدة والتحرر على أساس قومي، مع التأكيد على الأسس الأخلاقية والروحية لهذه النهضة، والمتمثلة في الاسلام وقيمه، لاقامة مجتمع عربي مبني على أساس مكين من العدالة. فالاسلام لم يكن في يوم من الأيام مناقضا للتقدم الحضاري والعلمي، ولا معاديا للتطور، لقد شجع الاسلام العلم والتعلم ، فالعرب المسلمون عندما خرجوا الى العالم من حولهم عاشوا عصرهم تماما، وتكيفوا مع حضارات الشعوب التي احتكوا بها او حكموها. فأخذوا علومهم وتعلموا لغاتهم، واستخدموا أنظمتهم الادارية والمالية والتنظيمية، ولم يقولوا بأن هذا يخالف الاسلام. فالاسلام يعايش روح العصر الذي يوجد فيه الفرد ولا يتخلف عن التقدم والتحضر، والا فكيف تتحقق مقولة ان الاسلام يصلح لكل زمان ومكان. أما الأسس الأخلاقية للاسلام فهي التي يجب أن نحافظ عليها ونحميها، لأنها الركائز الأولى للمجتمع الذي ننشد بأخلاقه وقيمه وتقاليده، والتي سنظل نتميز بها عن المجتمعات الأخرى. وهكذا فأننا بحاجة الى روح عصرية انبعاثية نهضوية، بحيث لا تخرجنا عن المتميز في تراثنا، ولا تعيدنا الى زمان ليس زماننا، ومكان ليس لنا فيه وجود. بل نريد التقدم الى العصر الذي نعيش فيه وولوجه من أوسع أبوابه، نتفاعل معه، نأخذ منه ما

يناسبنا، وننبذ ونترك ما يختلف مع قيمنا وعاداتنا واخلاقنا، نريد أن نطور مجتمعنا العربي بكل جوانبه بمفاهيم ومقاييس جديدة دون انحراف او اسراف او تعصب او تزمت.

ولما كان الفكر من نتاج الانسان، والنهضة من عمله وتخطيطه، فلكي نعيد بناء فكر النهضة العربية لتحقق تلك الاهداف السامية التي ظل العرب يسعون جاهدين منذ اوائل القرن من أجل تحقيقها وفي مقدمتها الحرية والوحدة، والحياة الفضلى، لا بد من الاهتمام بالدرجة الأولى بالانسان العربي، فهو وحده القادر على تحقيق طموحات الأمة ورفعتها وتقدمها.

فالانسان العربي نتيجة لموروثات قديمة، لم يعش عصره في نظرته للحرية الفكرية. نرى قطاعا كبيرا ما زال متساهلا ضعيفا مرائيا خانعا، يقبل الاهانة والتحقير كي لا يخسر وظيفته ولا يصدر عنه احتجاج. وهو لا يثق بغيره، ويتحدث عن الآخرين بالسوء، ويقدس القوة، وهو بالنهاية يفتقر الى الاستقلال الشخصي والحرية الحقيقية، يتكل بكل شيء على الحكومة ويطلب منها ان تقوم عنه بكل ما ينبغي ان يقوم هو به بنفسه. وهو مع ذلك لا يثق بالحكومة ولا يحبها بل يخشاها ويحاول الهروب من رقابتها، وكل من يقع في قبضة العدالة ينال العطف والتأييد مهما كان ذنبه.

ولا شك أن السبب في ذلك هو فساد الحكومات التي حكمت الانسان العربي في شتى أقطاره وامصاره، واستبدادها، وتكريس

الفردية والحكم الاحادي سواء للشخص أو الحزب، حتى أصبحت الأحزاب رهينة التحكم الفردي المطلق والتعسف والظلم والارهاب والاستبداد ، مما خلق في الانسان العربي الخنوع والذل والعجز والتملق ، لأن الحاكم المطلق لا يقبل بأقل من الخنوع والخضوع التام.

وهكذا فان الاستبداد طويلا يهدم الكائن البشري الفرد، كما يهدم المجتمع، وهو يحول دون نمو الطبيعة الخلقية على أتمها. ومن هنا كانت الحرية السياسية للانسان العربي شرطا ضروريا لأي نوع من الحريات، فالاستبداد يخلق العلاقة الخاطئة بين الحاكم والمحكوم، هي علاقة الأمر والطاعة، علاقة السيد والعبد، كما يفصم عرى التضامن في الأمة بازالة الثقة، ويعطل نشاط الآلة الادارية. ومن هنا فلا بد من ايجاد الحكم المقيد بالقوانين التي تضبط تصرف الحكام والادارة، وتجعل لكل جماعة الحق فيه، فهذا النوع من الحكم ، هو الحكم الطبيعي الذي يجب أن يسود وطننا العربي، حكم مبني على الديمقراطية والتعددية السياسية والحزبية والحرية، وحماية حقوق الانسان وصيانتها. عندئذ نخلق جيلا جديدا مسلحا بالعلم والحرية السياسية والاجتماعية والفكرية، ويكون لديهم العقل النامي المنتظم في نفسه، المنظم لسواه، لا يمالئون ولا ينافقون ولا يتملقون يعتزون بكرامتهم، يثقون بأنفسم، يقدسون حرية وطنهم وأمتهم ، بعيدون عن الوهم والخوف والجبن والفردية والانانية القاتلة.

نحن بحاجة الى اعداد جيل من الشباب العربي الواعي لنواجه به

القرن الحادي والعشرين، لا يتميز عن الكثرة بالمال أو الجاه، أو القوة المادية أو الزعامة الشعبية والعائلية، بل يكون تميزهم بالاستحقاق الذاتي، طبيعة وكسبا. جيل يحقق القيم ويعممها في المجتمع، جيل يعمل لا لذاته بل للغير، جيل من الشباب لا يتعالى ولا يتجبر، بل يحب ويخلص ويعطي. جيل متآلف، غير منفر مقدام، جريء، شجاع، متعلم، مثقف، خلوق، متمسك بقيمه الروحية السمحة وتقاليده العربية النبيلة، جيل تنطلق منه قوى التقدم والانبعاث ونهضة هذه الأمة واعادة بناء فكرها ومصادر خلقها وابداعها.

خطاب جديد
لمباديء وفكر المشروع النهضوي المعاصر

لقد تمحور فكر النهضة العربية والمشروع النهضوي الحديث، حول المبادىء الرئيسة التالية: الحرية، الوحدة، الاستقلال، والحياة الفضلى، ولا شك أن هذه المبادىء ظلت راسخة ثابتة في ضمير وفكر انساننا العربي في جميع اقطاره، مهما اختلفت المذاهب أو العقائد أو المنابت، وان امتنا العربية، وانساننا العربي والمخلصين من قادة هذه الامة قاموا ويقومون بالدراسات والمشاريع لتأكيد هذه المبادئ والمفاهيم، تمهيدا لتحقيقها على الأرض العربية رغم كل المعوقات والدسائس التي تتعرض لها هذه الأماني والأهداف القومية على الصعيدين الداخلي والخارجي وذلك من أجل اجهاضها وافشالها، ليصل انساننا العربي الى حالة من اليأس بحيث يبتعد حتى عن مجرد التفكير فيها. فها هي أبواق الصهيونية وما يسمى بالنظام العالمي الجديد والمتمثلة بأقلام من اصول عربية تنادي وتبشر بانتهاء القومية العربية ، وان هذه الامة يجب ان تبقى ممزقة مشتتة، ثم ان كامب ديفد، وحرب الخليج، ومشكلة الصحراء الغربية وجنوب السودان، ودماء اليمن العزيز ما هي الا سلسلة من المؤامرات على هذه الامة كي تتكفئ قطريا واقليميا، وزرع حالة من اليأس والضياع

لدى انسـاننا العـربي. ولكن الدارس المتـقصي لتاريخ امـتنا العربية وظروفـهـا ، لا بد وأن يقـرر بأن تحـقـيق النـهـضـة العربيـة الشـاملة المعاصرة: سياسية، واجتماعية، واقتصادية وعلمية، وثقافية، واعلامية ما زالت تندرج تحت منظومة فكر النهضة العربية القومي، وعلينا أن نتعامل مـعـهـا بخطاب وفهم واسلوب جديد واصـرار قوي وعميق وان هذه الأمـانـي وتلك الأهداف سـوف تتـحـقق رغم هذا الزمن الصـعب الذي تمر به امتنا العربية.

فالحرية: مطلب هام من مطالب النهـضـة العـربيـة الحـديثـة المعاصرة، فيجب اعطاء الانسـان العربي حريته السياسية والتعددية الحزبية كي تكون لديه حرية الفكر والكتابة والتعبير والعمل والعيش بسـلام. مع تحـرير العـقل العربي من رواسب لم تكن من صنعنا ولم تكن من حضـارتـنـا وقيمنا وتقاليدنا، يجب أن نغرس في نفوس ابنائنا بأن هذا العقل هو ملك لهم، فعليهم أن لا يدعوا أحدا يسيطر عليه، بل عليهم حرية الحركة والاختيار، علينا تحـرير الانسـان العربي من عقدة (الخـوف)، الخوف من الماضـي، والحاضر والمستقبل، يجب أن نغرس فيه قيم المغـامرة ومواجـهة المجـهول بعلمية وعقلية متفتحة، ويجب أن يعطى الانسـان العربي فرصة التعلم والتعليم الحديث بمنهجية جديدة بعـيدا عن التلقين والحـشو، وان يعـتـاد على التفكير الحـر واحـتـرام الرأي الآخر. وتهـيـئة الظروف التي تحـقق للانسـان العربي حقه في

الحياة كانسان متحضر عل هذه الارض، له حقوقه ، وعليه واجباته، دون تمييز في لون أو جنس أو عقيدة مع التركيز على المرأة لأنها عنصر هام في نهوض الأمة وتقدمها، باعطائها حريتها وحقوقها في العمل والعلم والفكر والمشاركة الفعالة في المجتمع، كي تصبح عامل بناء لا عامل هدم في جسم هذه الأمة، فالمرأة الحرة المتعلمة، تنتج أبناء أحرارا متحضرين، والمرأة عنصر هام من عناصر بناء المجتمع ورقيه وتقدمه.

أما الوحدة: فهي أمل وهدف سام من أهداف النهضة العربية، وحدة تشتمل على الوحدة الوطنية، والوحدة القومية ، لجميع الطوائف والجماعات في الوطن العربي كله. لقد سعت النهضة العربية الى الوحدة على اساس وحدة الحجاز واليمن وسوريا الطبيعية والعراق، ثم تطورت الطروحات الوحدوية منذ الاربعينات لتشمل الوطن العربي الكبير. وقامت مشاريع وحدوية بين أقطار عربية لم يكتب لها النجاح، وكان آخرها وحدة اليمن شماله وجنوبه، وما الأحداث الدامية التي شهدناها على الساحة اليمنية الا نتيجة طبيعية لظروف محلية وشخصية ودولية ترفض هذه الوحدة، لا بل أي انموذج للوحدة. لقد حارب الغرب الأوروبي اي لقاء عربي منذ العصور الوسطى، واجهضت فرنسا وبريطانيا طموح الوحدة العربية في اوائل هذا

القـرن عندمـا قـامت بتـمـزيق الوطن العـربي واسـتـعـمـاره. وفي الخمـسينات والسـتينات حـاربت الدول الغـربيـة وامـريكا واسـرائيل مشاريع الوحـدة العربية لتصل الى درجة الاحباط بحيث تسقط هذا الهدف من ذهنيـة الانسـان العـربي، ومع ذلك فـان انسـاننا العـربي مطالب بعدم اليأس من الوحدة وعليه السـعي اليـها بشـتى السـبل والوسـائل، لانها السـبيل الوحيد كي تصبح هذه الامة قوة عظمى في هذا العـالم. ونحن مدعوون الى تحـقـيق وحدة مماثلة نوعـا لطروحـات وحـدة النهـضـة العـربيـة كوحـدة الهـلال الخـصـيب كـانموذج للوحـدة العربيـة. شريطة أن ينطلق فكر الوحـدة هذه من أمور يمكن تحقيقـها، لتـصـبح مـثـالا يـحـتـذي بـه، وذلك بعـد ان تدرس كل الامـور المتـعلقـة بالوحدة بعلمية، مع تطوير للمجتمعات والمؤسسات في تلك الاقطار، كي تكون مـتـمـاثلة: تماثل في النظم السـيـاسـيـة، وحكم برلماني ديمقـراطي حـر، يضـمن حـرية الانسـان، والفرد وحـرية الرأي والرأي الآخر.

ولكي يتحقق ذلك لا بد من تكريس مـفـاهيم التسامح في مجتمعاتنا العربية، والعمل على حرية المعتقد، ونبذ التعـصب والتزمت والعنصرية والاقليمـية والطائفية. فديننا الاسلامي دين متسامح لم يعرف تعصبا ولا تزمـتـا، نبـذ وقـاوم وحـارب التـزمت بكل اشكاله، ورفض الانتـقـام والارهـاب بكل صوره.

ثم الاستقلال: صحيح ان أقطار الأمة العربية قد تخلصت من الاستعمار الاوروبي المباشر، الا ان جزءا غاليا ما زال يرزح تحت حكم صهيوني عنصري. فأرض فلسطين العربية وشعبها ما زالا يعانيان من ظلم وجبروت الصهيونية والعالم الغربي بمعظمه. لا أريد ان أخوض في ما يدور من مباحثات سلمية بين العرب واسرائيل ولكن أرض فلسطين بقدسها والجولان السورية وجنوب لبنان ، هي أرض عربية خالصة، سوف تتحرر، فالتاريخ ينبئنا بذلك، ولنا من التاريخ عظة وعبرة.

ان ما نطالب به الآن هو استقلال للإرادة العربية، استقلال قرارنا السياسي والاقتصادي، والعلمي ، والثقافي، استقلا ل للعقل العربي والانسان العربي، كي يؤكد ذاته ويبرز شخصيته وهويته. ولا شك أن الوسيلة المثلى للنضج القومي، والاستقلال الحقيقي، انما يكون (بالتربية) علينا تربية المواطن العربي تربية سياسية، تشعره بأنه فرد فعال في هذا المجتمع نريد تربيته على التعددية السياسية والتفاني في العمل، والاخلاص للوطن. ننمي فيه روح المبادرة الفردية، لانها الوسيلة الفعالة في تقدم الامة ورفعتها، نعوده على التسامح والاخاء والمحبة، وان يمارس الديموقراطية بعقلانية وموضوعية، وان يشعر بمسؤولية الكلمة والقول، وان يفاخر بحريته، وانه عضو نافع منتج في هذا المجتمع، مع الاهتمام بالتربية البيئية والمحافظة عليها نقية جميلة.

أما الحياة الفضلى: فلقد نادت النهضة العربية بالحياة الفضلى للانسان العربي، بعد ان عاش حياة ملؤها البؤس والشقاء والفقر والجهل والجوع، ونهب لموارده الاقتصادية والزراعية، بحيث عاش هذا الانسان على هامش الحياة الحديثة، بعد أن غُيبت هذه الشخصية عن العطاء الحضاري والتقدم الانساني.

وقد تمكن العرب منذ الثلث الاول من هذا القرن ، من دخول عصر التكنولوجيا ، فتعلم الانسان العربي، واقتنى الاموال، واصبح مستوى معيشته أفضل الف مرة من حالته مع بدايات هذا القرن. تطور الاقتصاد ، وانتشرت الصناعة، وتطورت الزراعة بالميكنة الحديثة. اما التجارة فقد توسعت بشكل ملحوظ ، وزاد دخل الفرد، فتمتع بالرفاه ووسائل المدنية الحديثة. فهو في خير وان لم نصل به الى الحياة الفضلى التي تنص على الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص، والمحافظة على حقوقه الانسانية، ومعتقداته السياسية في التعددية الحزبية، والنظام الديموقراطي، وحرية الكلمة والكتابة والتعبير. كل هذه الامور لم يصل اليها الانسان العربي في بعض مجتمعاته مجتمعة، فهو في بعضها لديه وفرة مادية، وبعضها وفر لمواطنيه الحرية السياسية والديموقراطية دون وفرة المال، وهكذا فإن هناك تفاوت في المكتسبات لهذا الانسان من قطر الى آخر.

ولكي نوفر لإنساننا العربي الحياة الفضلى التي ننشد، فلا بد من ايجاد نظام متطور يتلاءم مع روح العصر الحديث، وتعلم العلوم

بجميع أنواعها وأشكالها ، ثم الاهتمام بالتكنولوجيا، والتقدم التقني والفني والتطبيقي، وخلق علم عربي له سمته ومواصفاته، نريد زرعه واستنباته في الارض العربية، بحيث يصبح جزءا من هذه الارض ومن هذا الانسان. كما واننا بحاجة الى تسخير كل طاقات الامة العربية الاقتصادية في خدمة الانسان العربي، وتطوير هذا الوطن صناعيا وزراعيا وعلميا، وأن يوظف المال العربي في خدمة الوطن العربي ومواطنيه.

وعلينا تسخير الثقافة والفنون لخدمة تطلعات الامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، يجب ايجاد استراتيجية ثقافية عربية، وأن نأخذ من الاصالة ما يساعدنا على فهم روح العصر واستشراف المستقبل . أما الحداثة فنريد التعامل معها بعلمية ومنهجية وانتقائية، بحيث لا ننجرف مع المعاصرة، ونأخذ قشور الحضارة الغربية وثقافتها. لا نريد التقليد والسطحية، بل نريد العمق والاصالة، تماما كما فعل الاقدمون، عندما استوعبوا علوم من سبقهم، وافرزوا وابدعوا علما وحضارة وثقافة عربية متميزة، كانت حلقة من حلقات التطور الانساني والحضاري العالمية.

ويجب أن لا ننسى ما للاعلام المقروء والمسموع والمرئي من آثار، فالاعلام قادر على دخول كل بيت بسهولة ويسر، ومن هنا فعلينا بناء اعلام قوي قادر على المنافسة والتحدي، لحمل رسالة العروبة الى العالم من حولنا، علينا دخول القرن الحادي والعشرين بقوة وصلابة،

بعد ان نكون قد بنينا انساننا العربي، دون خوف او وجل، محصنين بقيم وتقاليد عريقة، وحضارة وثقافة عملاقة متميزة.

الدولة النموذج للمشروع النهضوي المعاصر:

وباعتقادي أن هذا المشروع النهضوي المعاصر بحاجة الى نموذج ، يكون القدوة والمثل. وها هو الاردن بقيادته الهاشمية وريثة فكر النهضة العربية وقيمها وفلسفتها، أخذ على عاتقه بأن يبني الدولة النموذج ، بثورة هادئة سليمة قادها الملك الثائر الحسين بن طلال وجعل لها ركائز ثلاث:

فها هو يكرس النظام الديمقراطي البرلماني ويعززه، ويفسح المجال للتعددية الحزبية والسياسية، وحرية الكلمة والتعبير والقول ، ويثبت هذه الركيزة من خلال نافذة نهضوية تقوم بها الاقلام الجريئة الحرة الواعدة، لتقف في وجه اعداء الديموقراطية في الداخل والخارج. ثم أن الاردن يعمل على المحافظة على حقوق الانسان في العمل والعيش والحياة من خلال مركز دراسات الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي وهو الركيزة الثانية. أما الركيزة الثالثة لهذا المشروع النهضوي واعادة بناء فكر النهضة العربية، فهو انشاء جامعة آل البيت. ولكي تحقق هذه الجامعة الاهداف التي انشئت من اجلها، ولتكون الركيزة الثالثة للمشروع النهضوي المعاصر الذي ننشد عليها أن تدرس بأسلوب جديد، ومنهجية جديدة، وخطاب

معاصر للفكر الاسلامي والقومي لا أن تكون نسخة مشوهة لمناهج جامدة عقيمة.

وهكذا فان الاردن يسير بخطى نحو الدولة القدوة، وعلى الاردنيين من جميع المنابت والاصول، المحافظة على هذه المسيرة الديمقراطية وتقويتها وتكريسها قولا وعملا. فاذا كان المشروع النهضوي الحديث قد انطلق من مكة المكرمة على يد الملك الثائر الحسين بن علي، فان المشروع النضوي المعاصر للامة العربية سينطلق بثورة سلمية من عمّان على يد الملك الثائر الحسين بن طلال، وسيبقى الاردن موئل احرار الامة العربية وملجأهم الامين الذي يتفيئون بظله، تماما كما كان في عشرينات وثلاثينات واربعينات هذا القرن ملجأ لهم في عهد مؤسس المملكة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين، أحد قادة نهضة الامة العربية الحديثة، وأحد مهندسي ثورتها.



وأخيرا لا يمكن أن نعيد بناء فكر النهضة العربية الا من خلال الانسان العربي ، وتهيئة الظروف المناسبة له، تنشئة، وتعلميا، وتربية وممارسة ديموقراطية أصيلة كي يشعر هذا الانسان بإنسانيته واهميته في وطنه وأرضه. وان يعطى حرية كاملة، من منطلق أخلاقي متين، ولنتيح له الفرصة كي يبدع ويبني دون وجل أو خوف أو اذلال، وان نبني مجتمع العدالة وتكافؤ الفرص، مع نبذ الفردية والأحادية، لشخص أو حزب أو جهة أو جماعة. نريد مجتمع المشاركة من الجميع، وان يشعر كل فرد بأنه عنصر هام في المجتمع الذي يعيش فيه، والابتعاد عن الارهاب الفكري والعقائدي والسلطوي. نريد مجتمعا قويا بشبابه ورجاله ونسائه، مسلحا بالعلم والتقنية الحديثة ، وبفكر متفتح ، وصفاء ذهني عميق. محصنا بخلق قويم يكون قادرا على الصمود أمام هذا التيار الجارف، الذي يغزو وطننا وشبابنا وامتنا بثقافة ليست بثقافتنا، وقيم وعادات وسلوك ليست من قيمنا وعاداتنا واخلاقنا. فان تحقق ذلك لانساننا العربي، أفليست هذه هي (الثورة السلميّة) التي دعا اليها قائد هذا الوطن جلالة الملك الحسين بن طلال، والتي ستدفع بهذا الوطن الكبير نحو الأفضل، وتحقيق طموحات الاجداد والاباء والابناء؟.

فهرس الموضوعات

الفصل الاول
الحسين بن علي الملك والثائر

الفصل الثاني
الغزو الأوروبي والتجزئة القطرية في الوطن العربي

الفصل الثالث
فكر النهضة العربية فكر مستمر راسخ في ضمير امتنا العربية

كتب صدرت للمؤلف

١- عمان حضارتها وتاريخها، دار اللواء، عمان، ١٩٧٩م.
٢- التاريخ السياسي لشرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٧٩م، طبعة أولى، وطبعة ثانية، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م.
٣- التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، طبعة أولى، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٧٩م وطبعة ثانية، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م.
٤- إمارة الكرك الايوبية، طبعة أولى، منشورات بلدية الكرك، ١٩٨٠م، وطبعة ثانية، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م.
٥- غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام، المطابع التعاونية، عمان، ١٩٨١م.
٦- علماء وفقهاء محافظة إربد، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨٢م.
٧- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة، عمان، ١٩٨٢م.
٨- دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الاسلامي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣م.
٩- آيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتهما التاريخية والاستراتيجية، دار هشام للنشر والتوزيع، اربد، ١٩٨٤م.
١٠- الحياة العملية والثقافية في الاردن في العصر الاسلامي، دار هشام للنشر والتوزيع، اربد، ١٩٨٤م.
١١- معركة اليرموك، دار هشام للنشر والتوزيع، اربد ، ١٩٨٥م
١٢- مدينة اربد في العصر الاسلامي، منشورات مركز الدراسات الاردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦م.
١٣- أضرحة الصحابة في غور الأردن، منشورات مركز الدارسات الأردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦م.
١٤- المساجد الاسلامية القديمة في منطقة عجلون، منشورات مركز الدراسات الاردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦م.
١٥- دليل مدينة اربد، منشورات بلدية اربد ، الاردن، ١٩٨٧م.
١٦- الزلازل في بلاد الشام في العصر الاسلامي، واثرها على المعالم العمرانية، دار الفكر، عمان، ١٩٩٠م.
١٧- الحسين بن علي الملك والثائر، عمان، ١٩٩٤م.
١٨- دليل الآثار الاسلامية في الاردن (تحت الطبع).



دار الفكر للنشر والتوزيع

عمّان - ص.ب : ١٨٣٥٢٠